



موسوعة
القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية
(٣٩)

العادات العربية



الباحث الرئيسي ورئيس الفرقة العام
أ.د. مرزوق بن صنيان بن تباك

www.mtenback.com

دار رواج للنشر والتوزيع

ج) مرزوق بن صنيطان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيطان بن
تنباك ... | أخ | الرياض.
٥٢ ج : ٢٤×١٧ سم
ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩-٢٢٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٩)
١- الأدب العربي - موسوعات
أ- ابن تنباك ، مرزوق بن
صنيطان (م . مشارك)
ديوي ٨١٠،٣
٢١/٢٠٧٨

رقم الإبداع : ٢١/٢٠٧٨
ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩-٢٢٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٩)

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	توطئة
٧	العادات لغةً
٨	العادات اصطلاحاً
١٩	طعام العرب في أيام الشدة
٢٦	مقاسمة الأموال والمواشي
٢٨	عادات الشرب وآدابه
٣٠	عادات العرب في سكناهم ومجالسهم وأنديتهم
٣٥	عادات اللباس
٤٥	عادات الزينة وآدابها
٦٣	عادات التجميل
٦٩	عادات الولادة، والختان والوفاة
٨٤	عادات العرب في الأحزان
٩٩	الفهارس

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَّحْمُودَةً فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقْسِمَ الْأَرْزَاقِ
فَالنَّاسُ هُنَا حِطَّةٌ مَا لَكَ وَذَا عَمَّ وَذَلِكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ

توطئة:

العادات العربية مجموعة من القواعد التي درج العرب عليها جيلاً بعد جيل حتى ترسخت في نفوسهم وشعروا بضرورة احترامها، وأصبحت القانون الذي يحكم التعامل بين الأفراد والجماعات.

فكل عملٍ يصير عادةً إذا توافر له شرطان هما: الميل إليه وتكرار فعله، ومن ثمّ، يصبح جزءاً من حياة ممارسيه، ويصبح الناس الذين تقلدوه يفعلونه تلقائياً دون تفكير.

والعادات متغيرة متطورة، وتتأثر بالزمان والمكان، والحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للشعوب، وتغيرها بطيء، إلى أن يحدث تغير عام في أخلاق المجتمع، كما حدث حين ظهر الإسلام، فتغيرت بظهوره العديد من العادات والمعتقدات التي لا تتسجم مع تعاليم الدين الجديد، ومع الظروف التي أصبح يعيشها المجتمع، وحل محلها عادات حسنة تمثل فيها الخير ومصصلحة الفرد والمجتمع.

وتختلف العادات والتقاليد العربية باختلاف المكان، فسكان المدن والأرياف تختلف عاداتهم عن عادات أهل البادية المتنقلين طلباً للماء والكلأ. وقد تختلف العادات باختلاف الطبقات الاجتماعية، فعادات الفقراء لا نجد لها عند الأغنياء، وعادات الصناع لا نلاحظها عند غيرهم من أصحاب الحرف الأخرى كالرعي وغيره.

والعادات تعبير حي عن ثقافة المجتمع ودليل على تمسكه بأهداب التقاليد الحسنة، وممارسة نمطاً من السلوك حتى تصبح ممارسته أدباً من آداب المجتمع يحافظ عليه ويحترمه ويهتم بتطوره وارتقائه.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

العادات لغة:

العادات جمع مفرد لها عادة، وهي الدين. وتعود الشيء وعاده وعاوده معاودة، واعتياده واستعادته وأعادته، والاعتیاد في معنى التعود وهو من العادة، ويقال عودته فاعتاد وتعود^(١).

وأشده ابن الأعرابي يذكر العادة والتعود قائلاً^(٢):

لَمْ تَزَلْ تِلْكَ عَادَةَ اللَّهِ عِنْدِي وَالْفَتَى آلفَ لِمَا يَسْتَعِيدُ
وقال أيضاً^(٣):

تَعَوَّدُ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَأْلَفُ مَا اسْتَعَادَا

وقال أبو كبير الهذلي يصف الذئب التي ترد مراراً فتعتاد، فلا تنكر الورود^(٤):

إِلَّا عَوَاسِلَ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةً بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّفِ

أما التقاليد، فمفردتها تقليد، ومصدرها (قلد)، وهي ما اتصل بالإنسان من العقائد أو أمور العبادة خلفاً عن سلف دون أن يسطر في كتاب، والتقليد أيضاً ما يكتبه السلطان أو الأمير للحاكم مصرحاً بتقليده الحكم^(٥).

(١) الأزهرى، أبو منصور بن محمد: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحلیم النجار، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت)، ج ٣، ص ٣٠؛ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف حياط ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٩٢٠؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة الرسالة، ط ١ (١٩٨٦م) ص ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٢٠ - ٩٣١.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٢١.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٢٠؛ وانظر: الأزهرى: تهذيب، ج ٣، ص ١٣٠ وجاء عنده الشطر الأول. (إلا عواسر....).

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، مادة قلد.

العادات اصطلاحاً:

والعادة تختلف عن الجبلية التي هي من جبل. وجبل الله الخلق ويجبلهم: خلقهم. وجبله على الشيء: طبعه عليه.

وجبله الشيء: طبيعته وأصله وما بني عليه. وفي حديث الدعاء: «أسألك من خيرها، وخير ما جبلت عليه وطبعت عليه». قال قيس بن الخطيم يذكر الجبلية^(١):

بَيْنَ شُكُولِ النَّسَاءِ خَلَقْتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبْلَةَ وَلَا قَصْفُ

والعادة عمل يمارسه المرء تلقائياً بعفوية، ولا يخضع فيه إلا للعرف الاجتماعي، فما تعارف عليه المجتمع من ممارسات فإن فاعله لا يقع عليه لوم. وربما أُلِفَ مجتمع أمراً واعتاده ورآه حسناً، وردّه مجتمع آخر رافضاً.

وتتكون عادات الشعوب بعد ممارسة طويلة، ولا بد من اتفاق جمعي يسودها فيستسيغها الكبير والصغير، ويصير لها آدابها وطقوسها.

كان للعرب في حياتهم العامة عادات وتقاليد ميزتهم أحياناً عن غيرهم من الشعوب، وربما أشركهم في بعضها أمم أخرى، وكان في كثير منها محامد وفضائل، وبعضها كان مجرد سلوكيات عامة لا تحمل تقويماً أخلاقياً محدداً. وسوف نعرض بعضاً منها في دراسة أدبية أخلاقية اجتماعية موجزة:

عادات المؤاكلة وآدابها:

كانت عادات العرب في المأكل والمشرب وسطاً، فلم يكونوا مسرفين في استهلاك المطاعم والمشارب، وكان لهم فيها عادات مستحسنة، على رأسها الإقلال من الطعام. ومن أمثلتهم المشهورة: «البطنة تذهب الفطنة»^(٢)، لأنهم رأوا أن الشبعان لا

(١) ابن الخطيم، قيس: ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، ط ٢، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ١٠٣.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: علي أبو ملحم، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط ٢ (١٩٩٢) ج ٢، ص ٥٤؛ الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢ (د.ت) ج ١، ص ٣٧٧.

يكون لبيبا، ويرون أن قلة الأكل أفضل دواء لصحة الأبدان، وأن الداء كله من فضول الطعام.

ونصح أحد حكماء العرب ابنه فقال: أي بني: قد بلغت تسعين عاماً ما نقص لي سن، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت ذنين أنف، ولا سيلان عين، ولا سلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد، فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة^(٨).

اعتدل العرب في تناول الطعام وبلغ من قناعتهم أن أحدهم كان إذا نال شربة من اللبن الممدوق بالماء، وأكل خمس تمرات صغار، دب فيه الحماس والنشاط، والإحساس بالقوة والشدة، حتى يصبح كأسد الغاب عند الهزاهز، ويرى أنه في أفضل عيش، ويجسد على ما هو فيه. وقد أكد ذلك أعرابي من أسد حين قال^(٩):

إِذَا مَا أَصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مُدْيِقَةً وَخَمْسُ تَمِيرَاتٍ صِغَارٍ كَنَائِرِ
فَنَحْنُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خِصْبًا وَنِعْمَةً وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْغَابِ عِنْدَ الْهَزَاهِزِ
وَكَمْ مُتَمَنَّ عَيْشَنَا لَا يَنَالُهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ وَهُوَ فَائِزُ

وقال ابن الأعرابي يوضح القناعة بالقليل من الطعام^(١٠):

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادٌ يَبْلُغُهُ الْمَحَالُ
خُبِزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظَّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلًّا

وقال بعض الأعراب يذكر قناعته من العيش بالتمر والماء، ويرى أن العيش ما

هو إلا شبعة وأن هذين يكفيانه^(١١):

^(٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٧-٣٧٨.

^(٩) الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان، القاهرة، مكتبة الخانجي

(د.ت) ج ٢، ص ٣٩٤.

^(١٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢٤.

^(١١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢٤.

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا شِبَعَةٌ وَتَشْرِقُ وَتَمَرٌ كَأَخْفَافِ الرِّبَاعِ وَمَاءُ
ومن أجل ذلك اعتادت معدة العربي على قلة الطعام، فإذا أكثر منه، أو تناول
طعاماً متعدد الأنواع، أصيب بالتخمة والمرض، وثنى أنه لم يأكل. وهو يمقت كثرة
الطعام ولا يحب تلونه وقد حدث أن قدم أعرابي إلى الحاضرة. فأكل كثيراً، فمرض
وأصيب بالتخمة فأنشد قائلاً^(١٢):

أَقُولُ لِلْقَوْمِ لَمَّا سَاءَ نِي شِبَعِي أَلَا سَبِيلَ إِلَى أَرْضِ بِهَا الْجُوعُ؟
أَلَا سَبِيلَ إِلَى أَرْضٍ يَكُونُ بِهَا جُوعٌ يُصَدِّعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دَيْقُوعُ؟

وكانوا يعيرون الرجل الأكل الجشع الذي يأكل بنهم، لا بل إن بعضهم عد
ذلك من الحمق^(١٣) ويمدحون من توسط في مطعمه، وأظهر نظافة وأدباً في
تعاطيه^(١٤)، وهذا الشنفري إذا حضر الطعام وامتدت الأيدي إليه فإنه لا يكون أعجل
القوم لأن من يفعل ذلك يتهم بالطمع والدناءة، فيقول^(١٥):

إِذَا مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وقال حميد الأرقط، يعيب من يسرع في أكله، ولا يدع بين لقمته الأولى والثانية
بجمالاً لنفسه^(١٦):

^(١٢) الزبيدي، السيد محمد بن محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم
الغباري؛ الكويت، مطبعة حكومة الكويت (١٩٦٧م) مادة دفع.

^(١٣) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٩؛ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة
بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط ٢ (١٩٧٨م) ج ٥، ص ٥٨.

^(١٤) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، (د.ت)،
ج ٨، ص ٩.

^(١٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٧، والجشع أشد الحرص.

^(١٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١٧٨؛ ج ٨، ص ١٢؛ ابن تنباك، مرزوق بن صنتان: الضيافة
وأدائها (د.م.ط.) (١٩٩٣م) ص ١٠٩-١١٠ نقلاً عن الشعر والشعراء.

مَا بَيْنَ لُقْمَتَيْهِ الْأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قَيْدٌ أَظْفُورِ

كما وصف طريقة النهم في الأكل التي يشتمز منها الإنسان فإلنهم يحاول الإحاطة بكل أنواع الطعام، ويأكل بكل أعضائه، فيداه تجهزان اللقم، وما إن تتجهز حتى يلقيها في مؤخرة فمه، لتصل مباشرة إلى حلقة، ويقصد أنه كان يبلع الطعام بلعاً دون مضغ، فقال^(١٧):

تُجَهِّزُ كَفَّاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ إِلَى الزَّوْرِ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنْمِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ مِنَ الْعَبِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلُ

ومع اتفاق العرب على فضل الإقلال من الطعام، فإن ثمة فارقاً بين أهل البادية والحضر في تناوله، فقد اعتاد أهل البادية على السرعة في الأكل وهو يخالف عادة العربي في الحاضرة الذي يجعل لقمته صغيرة، ويأكلها بأطراف الأسنان، ويحاول جهده ألا يملأ فمه بالطعام. وقد عجب أعرابي قدم على ابن عم له في مكة حين رأى طريقته وطريقة أصحابه في الأكل، فوصفها قائلاً: «إن هذه بلاد مقضم وليست ببلاد مخضم»^(١٨).

وقال ابن خريم يذكر الأكل قضمًا وخضمًا^(١٩):

رَجَاوًا بِالشَّقَاقِ الْأَكْلَ خَضْمًا فَقَدْ رَضُوا أَحْيَرًا مِنَ الْأَكْلِ الْخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا قَضْمًا

وتختلف آداب المأكل بينهم، فأهل الحاضرة يبدؤون بغسل أيديهم قبل كل طعام حباً في النظافة، ثم يأكلون بها، إذ قلما يستعملون أدوات؛ كالملاعق والسكاكين،

^(١٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ٨، ص ١٣؛ ابن تيناك: الضيافة، ص ١١٠.

^(١٨) الريدي: تاج العروس، مادة خضم، ومادة قضم. والخضم: الأكل بجميع الفم. والقضم: جعل اللقمة صغيرة في الفم.

^(١٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٥٤.

وإذا انتهوا غسلوا أيديهم. والأكل باليد عادة شائعة يرون أنها خير من الاستعانة بأدوات الأكل حتى صارت في حكم العرف.

ومع انتشار عادة غسل الأيدي قبل الطعام وبعده عند العرب، فإن بعضهم كان يستعيض عنها إذا فرغ من الطعام بمسح يده بأي شيء يكون أمامه، حتى لو كان ذلك أعراف الجياد، قال امرؤ القيس يصف مسح أيديهم بأعراف الجياد بعد أكل الشواء^(٢٠):

نُمَشُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَانَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

ومن عادة العرب استعمال الربطة، لمسح اليد وتنشيفها من الماء^(٢١). وقد استعمل الملوك والأغنياء المناديل المصنوعة من الحرير أو الكتان وهي غالية الثمن^(٢٢). كما استعانوا بالخدم في تقديم الأطعمة والأشربة، وكان هؤلاء الخدم يرتدون أكسية خاصة نظيفة، وكثيراً ما وضعوا الأقراط في آذانهم، مبالغة في تزيينهم حتى يكتسي جو المآدب والضيافة بلون خاص، فإذا قَدَّم الخادم شيئاً من الطعام إلى الضيوف، وضع المنديل (الديباجة) على كتفه، وألصق خده بها، ووضع تحت صحن الطعام قماشاً أو نحوه، قال أحد الشعراء يصف الخادم وهو يضع الديباجة على كتفه ويلصق خده بها^(٢٣):

وَذَا نُطْفِ يَسْمَعِي مُلْصَقُ خَدِهِ بِدِيْبَاجَةٍ تَكْفَأُهَا قَدْ تَقَدَّدَا

^(٢٠) امرؤ القيس بن حجر: ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ٢ (١٩٦٤م) ص ٥٤.

^(٢١) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٦٣. والربطة هي المنديل والقوطة.

^(٢٢) الزبيدي: تاج العروس، مادة ربط، ندل، فوط.

^(٢٣) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٦٤.

وكانوا يأكلون الطعام على السفرة، وهي من الجلد المستدير أو الخوص، وإذا انتهوا من الطعام علقوها. واستعمل بعضهم الخوان، وهو نوع من المنضدة القصيرة^(٢٤).

وكان للعرب عادات في مجالس الطعام والشراب على نحو ما يفعل في الآداب الرسمية، فكان من عادة ملوك الغساسنة والمناذرة أن يقدموا الموائد في نهاية المجلس إذا همت الوفود بالانصراف. وكانوا يجلسون السادة والرؤساء والمقرين إليهم عن يمينهم، وعلى مقربة منهم تعظيماً لشأنهم، ودلالة على مكانتهم عندهم. فإذا جرى بالشراب أو الطعام قدم إلى الملك أولاً، فإذا شرب منه أو ذاقه أمر بتقديمه إلى من هو في يمينه، لأنه المفضل والأشرف. قال عمرو بن كلثوم^(٢٥):

صَدَدَتْ الْكَاسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَاسُ مُجْرَاهَا الْيَمِينَا

وطعام العرب بسيطٌ إجمالاً، لا يتعدى اللحوم والتمر واللبن والخبز و السمن والسويق^(٢٦). ومما لا شك فيه أن مكونات الطعام تختلف بين موسم وموسم، وأسرة وأخرى حسب مستواها الاجتماعي. ولم يكن الخبز طعام كل العرب، لارتفاع ثمنه، إذ لم يكن باستطاعة الفقير تناوله، وعد أكله من علامات الغنى والثروة. ومن أطعم الخبز والتمر فهو من السادة الكرام. وكان أحدهم يفخر بتضييفهما بقوله: «خبزت القوم وتمرتهم» وقد فخر بنو العنبر بسيدهم عبد الله بن حبيب، لأنه يأكل الخبز ويطعمه^(٢٧).

^(٢٤) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، زملائه، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت) ج ٢، ص ٤٨٦؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاحوري، حلب، دار الوعي، ط ١ (١٩٧٠م) ج ١، ص ٥٧٥.

^(٢٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٧٩.

^(٢٦) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٩٩٠م) ج ١، ص ٦٤.

^(٢٧) الزبيدي: تاج العروس: مادة خبز، الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٨٧.

وكانوا يؤثرون الابن المدلل بالخبز، قال أبو العاص بن الربيع: كنا إذا تعشنا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر^(٢٨). وكان أحد الأعراب يرى أن أكل الخبز من الطيبات، ويتمنى أكله مع البرني والزبد ولا يهمله بعد ذلك إن حدث له حادث الموت دون أن يعد لحدًا لنفسه^(٢٩):

أَلَا لَيْتَ خُبْزًا قَدْ تَسَرَّبَ لِرَائِبَا وَخَيْلًا مِنَ الْبَرْنِيِّ فُرْسَانُهَا الزُّبْدُ
فَأَطْلُبَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ شَهَادَةً بِمَوْتِ كَرِيمٍ لَا يُعَدُّ لَهُ لِحْدُ

ولقيمة الخبز عندهم لها أسماء، فالخبز جابر، وعاصم، وعامر وقد سمي جابراً لأنه يجبر الناس، قال ابن الأعرابي^(٣٠):

فَلَا تُلُومَانِي وَلَوْ مَا جَابِرًا فَجَابِرٌ كَلَّفَنِي الْمَقَارِقَا

وغلب على العرب أكل اللحوم وعدوها من أطايب المأكولات، ويرون أن مباحج الحياة هي في أكل اللحم والطيب والنساء. فإذا حصل العربي على هذه الأشياء تمت له مباحج الحياة. وقد عرفت اللحوم والطيب والنساء بالأحامرة لأنها كانت تستنزف من العربي ما يملك بسبب ارتفاع أثمانها. قال الأعشى يذكر أن الأحامرة الثلاثة أهلكت ماله لولعه بها^(٣١):

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكْتُ مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَّ قَدَمًا مُوَلَعًا

^(٢٨) الواقدي، محمد بن عمر: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، ط ٣ (١٩٨٤م) ج ١ ص ١١٩.

^(٢٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ١٠.

^(٣٠) أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس: النوادر في اللغة، تصحيح سعيد الخوري الشرتوني اللبناني (١٩٨٤م) ص ٢٥٧.

^(٣١) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٧ (١٩٨٣م) ص ٣٤؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٦٤. نقلًا عن شعراء النصرانية وتاج العروس وجاء الشطر الثاني من البيت الثاني عنده (بالزعران فلن أزال مبقعاً).

ومن أجل ذلك فقد اعتاد العرب طرقاً كثيرة في الحصول على لحوم الحيوانات. وعادة طهو اللحم أبرز مظاهرها عند العرب الشَّيِّ في البادية والريف. إذ توقد النار ثم يوضع اللحم عليها، ومتى نضج أكل. ونجد في قصص أجداد العرب مثل حاتم الطائي وغيره، أنهم كانوا ينحرون الإبل، ثم يوقدون ناراً فيشؤون اللحم عليها. كما كانوا يسلقونه بالماء، قال حجر بن خالد يذكر سلق اللحم^(٣٢):

نُدْهِدِقُ بِضَعِ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّادِي وَبَعْضُهُمْ تَغْلِي بِذَمِّ مَنَاقِفِهِ

وكان بعضهم يجعل قطع اللحم في القدر كبيرة، فيسمع صوت تقلبها في القدر عند الغليان. قال حجر بن خالد يصف سلق اللحم بالقدر، والصوت الذي يصدر عند الغليان، ويفتخر بكرم قومه في الإطعام^(٣٣):

جُفَاةَ الْمَحْزَلِ لَا يُصَيُّونَ مِفْصَلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُمًا

والعادة المتعارف عليها أن تقوم صاحبة البيت بطبخ الطعام، وإذا كانت الأسرة غنية موسرة، فإنها تستعين بمن يطبخ لها. وكان الطباقون من الأعاجم خاصة لإتقانهم فن الطبخ، ومعرفتهم بالعديد من المأكول.

ومن عادة العرب تناول وجبتين من الطعام هما الغداء والعشاء، فالغداء وقت الغدي، والعشاء وقت العشي. ويسمى شراب العشي الغبوق، ووقت تناوله بعد غروب الشمس^(٣٤). وفي الحديث: «إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا

^(٣٢) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ١١٤، والدهقة: صوت القدر عند غليانها. والبضع: جمع بضعة وهي القطعة من اللحم. والباع: مثل للشرف والعز. والمناقق: قدور صغار من حجر.

^(٣٣) المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، (١٩٦٨م) ج ٢، ص ٥١٦.

^(٣٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الأشربة، تحقيق: محمد كردعلي، دمشق، مطبعة التراثي (١٩٤٧م)، ص ٨٤؛ ابن سيده، علي بن إسماعيل: المخصص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (د.ت) ج ٤، ص ١٢٢.

بالعشاء»^(٣٥) وقد تكون وجبتا الغداء والعشاء من الطعام نفسه، وغالباً ما تكونان من التمر والخبز^(٣٦). أما طعام الصباح فليس له عند العرب كبير أهمية، ولا سيما عند أهل الوبر^(٣٧)، وغالباً ما كان يقدم للصبيان. ولذلك كان من عاداتهم أن ييكرروا بالغداء لأنهم يرون فيه راحة البدن وصحته، ويؤخرون العشاء رغبة في مشاركة الأضياف لهم في طعامهم، فقد كان للضيوف كبير خطر، قال شاعرهم يصف هذه العناية^(٣٨):

إِنِّي إِذَا خَفَيْتَ نَارَ لِمُرْمَلَةٍ أَلْفَى بِأَرْفَعِ تَلِّ رَافِعَا نَارِي
ذَاكَ وَإِنِّي عَلَى جَارِي لَذُو حَدَبٍ أَحْنُو عَلَيْهِ بِمَا يُحْنِي عَلَى الْجَارِ

وكانوا يرون ضرورة اجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجتهم وعودهم، ويمكن أن يكون تأخير العشاء لطبيعة مناخ الجزيرة العربية الحارة، فكلما خفت الحرارة يبرد الليل كان الطعام أمراً^(٣٩).

ويصنع العرب مما بين أيديهم مأكولات متنوعة، وهي على امتزاج موادها بسيطة هينة لا تعنت صانعها، ولا تثقل طاعمها، واشتهر من مأكولاتهم الثريد: وهو طعام محبوب مشهور عند العرب، يصنع من فتات الخبز وتهشيمه وسقيه بالمرق واللحم. وقد اشتهر هاشم بن عبد مناف بتقديمه الثريد للفقراء في السنين العجاف^(٤٠).

^(٣٥) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة، العصرية (د.ت) ج ٣، ص ٣٤٥؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تحقيق: يوسف مرعشلي، بيروت، دار المعرفة (د.ت) ج ٣، ص ٧٤.

^(٣٦) الواقدي: المغازي، ج ٤، ص ١١٩.

^(٣٧) ابن سيده: المخصص، ج ٤، ص ١٢١-١٢٢.

^(٣٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧١.

^(٣٩) المصدر السابق نفسه.

^(٤٠) المرزباني، محمد بن عمران: معجم الشعراء، نشر سالم الكرنكوي، القاهرة، مكتبة المقدسي.

(١٣٥٤هـ) ص ٢٠٠؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٧.

ومن طعامهم الحيس: وهو التمر يغلى مع اللبن والسمن، ثم يدهك بعضه ببعض، وقد يضاف إليه السويق^(٤١).

والوشيقة: وتكون بغلي اللحم. قال الحسن بن هانئ فيها^(٤٢):
حَتَّى رَفَعْنَا قَدْرَنَا بِضِرَامِهَا وَاللَّحْمُ بَيْنَ مُؤَذِّمٍ وَمَوْشَقٍ
والسخينة: وتصنع من الدقيق، وهي دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء، وكانوا يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر. وكانت قريش تعير بأكلها لأنها تكثر منها في الأزمان، حتى سميت قريش في موطن التعريض والتنابز بالألقاب (سخينة).

فقال كعب بن مالك يهجو قريشاً^(٤٣):
زَعَمَتْ سَخِينَةٌ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلِيَغْلِبَنَّ مِقَالِبُ الْفُلَابِ
والحريقة: أن يُذَرَّ الدقيق على ماء أو حليب فيحتسى، وهي أغلظ من السخينة^(٤٤).

والريكة: وهي التمر يعجن بالسمن والأقط، فيؤكل. وربما صب عليه الماء فيشرب^(٤٥).

والبسيصة: من الدقيق أو السويق، يلت بالسمن أو الزبد^(٤٦).

^(٤١) عفيفي، عبد الله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى (د. ت) ج ١، ص ٨٧.

^(٤٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٢-٣.

^(٤٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٦٣، ج ٦، ص ١١١؛ ج ٨، ص ٤؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٨٢.

^(٤٤) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٤، ٣٨٣.

^(٤٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٣؛ عفيفي: المرأة العربية، ص ٨٨.

^(٤٦) المصدر السابق نفسه.

والبكيلة: وهي الدقيق يخلط بالسويق، ثم يبل بماء أو سمن أو زيت. وهي التي عنها الراجز بقوله^(٤٧):

لَأَكْلَةٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ أَلَيْنُ مَسَا فِي حَشَايَا الْبَطْنِ
مَنْ يَثْرِيَاتٍ قَدْ ذَادَ خَشْنَ

والمضيرة: وهي من اللبن الحامض^(٤٨).

والهريسة، والحزيرة: أن ينصب القدر بلحم يقطع صغراً على ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن لحم فهو عصيدة^(٤٩).

والحيسة: وهي تمر وسمن وأقط. وقد أهدت أم سليم حيسة إلى رسول الله ﷺ وضعتها في برمة^(٥٠) وأرسلتها إليه بمناسبة دخوله بزینب^(٥١).

وللعرب أوان استخدموها لتقديم الطعام إلى الضيوف وهي متنوعة في شكلها وحجمها، منها: الفیخة، وتسمى السكرجة (فارسية)، إناء صغير لا يشبع الرجل. ومثلها الصحفة، وهو إناء يشبع الرجل، وقد أرسلت زينب بنت جحش صحفة فيها طعام إلى الرسول في بيت عائشة فكسرتها^(٥٢). والدسيعة، وهي أكبر الأواني^(٥٣). والبرمة من الأواني الحجرية، ذكرها طرفة بن العبد في شعره، فقال^(٥٤):

^(٤٧) الألو سي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٨٤.

^(٤٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٣.

^(٤٩) عفيفي: المرأة العربية، ص ٨٧.

^(٥٠) البرمة قدر من حجر.

^(٥١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة (د.ت) ج ٨، ص ٦٨.

^(٥٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٩، ص ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٥.

^(٥٣) اختلف في أكبر الأواني، أهي الجفنة أم الدسيعة. ويبدو أن الجفنة أكثر استعمالاً لذلك كثر ورودها في شعر الشعراء على سبيل الفخر والمدح. انظر الزبيدي: تاج العروس، مادة جفن، دسح؛ الألو سي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٨٧.

^(٥٤) طرفة بن العبد: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار صعب (١٩٨٠م) ص ١١٩.

أَلْقُوا إِلَيْكَ بِكُلِّ أَرْمَلَةٍ شَفَاءَ تَحْمِلُ مَنَقَعَ الْبُرْمِ

والجفنة تشبع السبعة إلى العشرة، وفيها قال حسان بن ثابت يفتخر^{٥٥}:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمَا

وقال طرفة بن العبد في الجفنة^(٥٦):

بِعِجْفَانٍ تَعْتَرِي نَادِينَا مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنْبَرُ

كما قال يذكر الجفان وكثرة الطعام في مجالسهم، وهي رغم كثرة الأكلة، تبقى

فيها بقية^(٥٧):

وَتَرَى الْجِفَانَ لَدَى مَجَالِسِنَا مُتَحَيِّرَاتٍ بَيْنَهُمْ سُورَةٌ

أما القدر فقد ذكرها بشر بن أبي خازم فقال^(٥٨):

فَكَانُوا كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَدْرِ إِذْ غَلَّتْ أَنْزَلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُذِيهَهَا

أما المكتلة فهي تشبع الرجلين والثلاثة فقط، والقصعة تشبع الأربعة

والخمسة^(٥٩).

طعام العرب في أيام الشدة:

كانت بلاد العرب تتعرض إلى شح في الموارد الزراعية خاصة إذا انجس المطر

وهلك الزرع، فيفقد العربي بذلك معاشه وزاده، وتتعرض حياته للخطر من قلة

^{٥٥} شرح ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبد الرحمن اليرقوقي، دار الأندلس (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

^(٥٦) طرفة بن العبد: ديوان طرفة، ص ٨٤. والسديف قطع السنام. الصنبر: الرد القارس.

^(٥٧) طرفة بن العبد: ديوان طرفة، ص ٩١. وسور: جمع سورة أي بقية.

^(٥٨) بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، دمشق -

منشورات وزارة الثقافة، ط ٢ (١٩٧٢م)، ص ١٦.

^(٥٩) الكوفي، أبو طالب المفضل بن سلمة: الفاخر، نشر سانس أنروس، ليدن، مطبعة بريل (١٩١٥م) ص ٩٨.

الموارد، ولا يملكون حينئذ إلا أن يأكلوا ما يتيسر أكله مما تحتفظ به بيئتهم. ولشعورهم بوطأة الجوع زعموا أن في البطن حية إذا جاع الإنسان عضت على شرسوفه وكبده^(٦١)، وقد صور أعشى باهلة ذلك بقوله^(٦١):

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَيَّ شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ
ولتكرار المجاعات كنوا الجوع بأبي مالك و الإفلاس بأبي عمرة^(٦٢):

وقال أعرابي يصف الجوع ويسميه بأبي مالك:

أَبُو مَالِكٍ يَعْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَلِمُ فَيُلْقِي رَحْلَهُ عِنْدَ جَابِرٍ
وقال آخر^(٦٣):

أَبَا مَالِكٍ إِنَّ الْغَوَانِي هَجَرَنِي أَبَا مَالِكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ ذَائِبًا

وسئل أعرابي عن طعامه وطعام جماعته في أيام الشدة، فقال: الهبيد، والضباب، والبراييع. وربما أكلوا القند. ذلك أنهم كانوا في مثل هذه المواسم القاسية لا يعافون شيئاً من المأكّل لقلتها عندهم^(٦٤) وكانوا في الشدائد يلجؤون إلى أكل الميتة، ولحوم الحمر الوحشية والأهلية، حتى حرمّ عليهم الإسلام أكل الميتة ولحوم الحمر الأهلية^(٦٥). كما كانوا يأكلون الجراد وأكله معتاد عند الأعراب، يأكلونه نيئاً، وقد يطحنونه ويلقون عليه الملح. وقد يأكلونه بالتمر وبغيره وهو عندهم طعام لذيذ^(٦٦).

(٦٠) الكوفي: الفاجر، (١٩١٥م) ص ٩٨.

(٦١) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣١٤.

(٦٢) الثعالبي: مزار القلوب، ص ٢٤٨.

(٦٣) أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة، ص ١٠١.

(٦٤) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٨٠.

(٦٥) انظر: سورة المائدة، آية ٣.

(٦٦) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٦٠. ويذكر بعضهم أن الإنسان يصاب بالشرى من أكله وقد يشكو من بطنه.

وكان فقراء العرب في أيام الشدة يرسلون أولادهم لجمع الحنظل، فإذا جمع نتق لإخراج هيبده (الخب) لتحميمه وطبخه لأكله. ولم يكن كل العرب يحتاجون إلى مثل هذا الطعام، بل تفاخروا بعدم أكله، وكأنا رأوا في أكله منقصة، بل إن إرسال الأولاد لنتقه هو أمانة سوء، قال امرؤ القيس^(٦٧):

كَأَنِّي غَدَاةَ الْيَمِينِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وقال أحد الرجاز يصف كرهه لأكل الحنظل^(٦٨):

بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَنْظَلُ الْمَبْسَلُ يَبْجَعُ مِنْهُ كَبْدِي وَأَكْسَلُ

ومع الشدة والحاجة التي يعانها فقراء العرب، فإنهم اعتادوا على التعفف، فهم لا يظهرون حاجتهم في معيشتهم أمام الآخرين لأنهم يرون أن الموت في سؤال الرجال، قال الشاعر^(٦٩):

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلِيِّ فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ

كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ

وقال مسكين الدارمي يذكر عفته عن سؤال الآخرين إذا كان معسراً، لئلا يعلم أصدقاؤه وإخوانه بفقره^(٧٠):

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِراً صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأْنَ يَعْلَمُوا فَقْرِي

^(٦٧) امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص ٩.

^(٦٨) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ١٩٥.

^(٦٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١١٦.

^(٧٠) مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر: ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وزميله،

بغداد، نقابة المعلمين المركزية، مطبعة دار البصري (١٩٧٠) ص ٤١.

وقد ساعد على تخفيف شدة الحياة وقسوتها، مواسة الأغنياء للفقراء. فقد كانوا يعملون على مد يد العون لبعضهم. قال جزء بن ضرار^(٧١):
 فَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغَنِيَّهُمْ لَهُ وَرَقٌ لِلْسَّائِلِينَ رَطِيبٌ
 كما ذكر قيس بن الخطيم مواسة الأغنياء للفقراء، ومشاركتهم ومساهمتهم في معاشهم ورزقهم، فقال^(٧٢):

سَاقُوا الرَّهُونَ وَأَسَوْنَا بِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ قَدَّ بَرُوا وَقَدَّ كَرُمُوا
 وكان العربي فقيراً أو غنياً يُقدِّم ما يستطيع لمساعدة الآخرين، لشعوره أن ذلك عادةً وتكافل اجتماعي لا يمكن تجاوزه في ظروف البلاد القاسية. وقد صور حاجز بن عوف الأزدي شدة الحياة وقلة الموارد، فقد تمحل الأرض ويجف الضرع، حتى أن مائة من الإبل قد لا تدر ما يكفي لإرواء طفل صغير، لما أصابها من محل وهزال وضعف فقال^(٧٣):

سَلِي عَنِّي إِذَا اغْبَرَّتْ جُمَادَى وَكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثَّمَامَا
 فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيَتْ عَنَّا إِذَا لَمْ تَغْبُقِ الْمَائَةَ الْغُلَامَا
 وقد تتجاوز هذه المواسة الحد الطبيعي إلى درجة تجعل أحدهم ينال اللوم من أقاربه، بل إن رجلاً كحاتم الطائي أجبرته امرأته على طلاقها لإسرافه في مساعدة الآخرين حتى لم يعد يملك شيئاً، وقد بين أن الجود جبلة وعادة في نفسه لا يمكنه تغييرها، فقال^(٧٤):

(٧١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ٣٤٥.

(٧٢) قيس بن الخطيم بن عدي: ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ط ٢ (١٩٦٧م) ص ٢٠٦.

(٧٣) ابن تيبك: الضيافة، ص ٥٢. نقلاً عن قصائد جاهلية نادرة، ص ٨٣.

(٧٤) حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص ١٨٧؛ ابن تيبك: الضيافة، ص ٧٢.

وَقَائِلَةٌ أَهْلَكْتَ فِي الْجُودِ مَالَنَا وَنَفْسِكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَةٌ لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

وقد ورث حاتم الطائي الجود عن أمه غنية بنت عفيف، التي كانت موفورة الثروة، فياضة اليد، فكانت لا تمسك شيئاً تملكه، فلما رأى إخوتها إتلافها، حجروا عليها مالها، فمكثت دهرًا لا تنال يدها شيئاً مما تملكه، حتى إذا ظن إخوتها أنها قد وجدت ألم الحاجة وارعوت عما تفعل أعطوها طائفة من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها، فقالت لها: دونك الإبل فخذ بها، فقد مسني من ألم الجوع، ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً، ثم أنشأت تقول^(٧٥):

لَعَمْرُكَ قَدَمَا عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَآلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعًا
فَمَاذَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَخْتِكُمْ سِوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ صَانِعًا

وطلب عمرو بن الأهتم من زوجته ألا تضيق عليه فيما يغلبه عليه طبع المعونة والعطاء، قال^(٧٦):

ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ يَا أُمَّ مَالِكٍ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرَّجَالِ سَرُوقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادَ بَاهِلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ تَضِيئِي

وليست المواساة للفقير فقط، بل اعتاد العرب على مواساة ضيفهم، فإذا جاءهم ضيف أطعموه وسقوه الشراب، يقدم ذلك أحد أبناء صاحب الدار، أو خدام من خدمه^(٧٧) ويجد المضيف من واجبه أن يتلقى ضيفه بالترحيب والتكريم، ذلك لأن من

^(٧٥) القتالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: ذيل الأمالي والنوادر، القاهرة، دار الكتب، (د.٥) ص ٢٣.

^(٧٦) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك،

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجليل، ط ٤ (د.٥) ج ١، ص ٣٩.

^(٧٧) جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦٦٦.

واجب الضيافة استقباله ببشاشة وجه^(٧٨) وواجب الضيافة ثلاثة أيام، فإذا انقضى الأجل فإن من أدب الضيف الانصراف.

وعلى الرغم من أن حسن الضيافة عادة العرب جميعاً، فإن بعضهم كان أحرص عليها، فقد ذكر أن بني أفضى^(٧٩) كانوا أشهر بضيافتهم من غيرهم، فكان لا ينزل بهم نازل قط إلا عمدوا إلى ماله فحبسوه ودفعوه إلى رجل يرضون أمانته وأعانوه بأموالهم ما أقام بين أظهرهم، فإذا ظعن أدوا إليه ماله، ورحلوا معه. فإن مات ودوه^(٨٠) وإن قتل طلبوا بدمه، وإن سلم أحقوه بمأمنه. وفي ذلك يقول عمرو بن الخثارم^(٨١):

أَلَا مَنْ كَانَ مُغْتَرِبًا فَإِنِّي لَغُرْبَتِهِ عَلَى أَفْضَى دَلِيلُ
يُعِينُونَ الْغَنِيَّ عَلَى غِنَاهُ وَيَثُرُونَ فِي جِوَارِهِمُ الْقَلِيلُ

ومع حسن استقبال الضيف والنزول، فإن بعضهم كان يعمل ضيافة الثقلاء، وكان من عادتهم إذا جاءهم من لا يحبون رجوعه أن يوقدوا خلفه ناراً هي نثار الطرد، ويقولون في الدعاء عليه: «أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً إثره»^(٨٢). ولم يقف إكرامهم للضيف عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك إلى إقامة الولائم التي يحضرها الأقارب والجيران كما في الأفراح والأتراح، والمناسبات الدينية المختلفة. وكانت المناسبات التي يقدم بها الطعام للضيوف كثيرة، وقد اتخذت تسميات متعددة، وأشهرها:

(٧٨) الألوسى: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٥.

(٧٩) هم بنو أفضى بن نذير بن قسر بن عبق من بجيلة.

(٨٠) ودوه: أي دفعوا ديتهم.

(٨١) ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي: المحبر، تحقيق ايلزة ليختن شتير، حيدر آباد، مطبعة المعارف

العثمانية (١٩٤٢م) ص ٢٤٣.

(٨٢) الألوسى: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٦٣.

الوليمة: وهي الطعام الذي يصنع عند الزواج. ويدعى إليها الأشراف والوجهاء، وأهل الشأن والمكانة الاجتماعية، والأهل والأقارب والجيران.

الجفلى: مأدبة عامة يدعى إليها الناس على اختلاف طبقاتهم، ويقدم الطعام فيها لأهل الحي والمقيمين فيه. قال طرفة بن العبد^(٨٣):

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وقد خص طرفة الشتاء لأنه مظنة قلة الشيء واحتياج الناس فيه.

النقرى: هي الدعوة التي يختص بها فئة من الناس دون أخرى، كأن الرجل ينتقر بعضاً دون بعض، أي يختارهم ويخصهم^(٨٤).

الخرس: وهو طعام النفساء ويقدم بعد الولادة.

العقيقة: هي الطعام المقدم عند الولادة، ويكون في اليوم السابع أو غيره، وقد أقرها الإسلام فما زالت.

الإعذار: الوليمة التي تقام عند الختان.

النقبة: هي الوليمة تصنع عند القدوم من السفر. وقد قيل فيها شعر نسب إلى مهلهل:

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقِدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ

الوكيرة: سماها بعضهم التحفة، وهي الوليمة التي تقام عند الاحتفال بالانتقال إلى بيت جديد^(٨٥).

^(٨٣) طرفة بن العبد: ديوان طرفة، ص ٨٤.

^(٨٤) الكوفي: الفاجر، ص ٩٨، الزبيدي: تاج العروس، مادة نقع؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٠.

^(٨٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٤؛ الألويسي: بلوغ، ج ١ ص ٣٨٦.

القفي: هو الطعام الذي يكرم به الرجل، قال الشاعر^(٨٦):
 وَتَقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَانِعًا وَنَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَانِعٍ
 العتيرة: وليمة تعمل إذا هل شهر رجب، وتطلق العتيرة أيضاً على الذبيحة التي
 تذبح للأصنام ويصب دمها على رأس الصنم^(٨٧).
 الوضيمة: هي الطعام الذي يصنع عند الوفاة^(٨٨).
 السلفة: طعام يعلل به قبل الغداء، ويعرف بالعلقة والعلاق^(٨٩).

مقاسمة الأموال والمواشي:

حين تشتد الحياة على العربي وتقسو عليه الطبيعة، ويعاني الجوع والفقير فإنه قد
 يلجأ إلى عادة غريبة تدل على مدى التعفف وهي عادة الاعتفاد^(٩٠).
 ولا نتصور لجوء بعضهم إليها إلا لأنهم يجدون الموت خيراً من ذل السؤال، فإذا
 أرادوا الاعتفاد، دخلوا بيوتهم صغاراً وكباراً، فأغلقوا أبوابها عليهم، وهي خاوية على
 عروشها ويقوا فيها يصارعون الجوع والعطش. ومما نقلته كتب التاريخ عن الاعتفاد أن
 قرشياً من بني مخزوم يعرف بأبي تراب قرر أن يعتفد مع أفراد أسرته، وكان ذلك قاسياً
 على الصغار منهم لدرجة أن بعضهم كان يبكي مما سيكون خوفاً وهلعاً^(٩١).

^(٨٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٤.

^(٨٧) ابن سيده: المخصص، ج ١٣، ص ٩٨؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١ ص ٣٨٦؛ جواد علي، المفصل،
 ج ٥، ص ٧٣.

^(٨٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٦٨.

^(٨٩) ابن سيده: المخصص، ج ٤، ص ١٢١-١٢٢.

^(٩٠) الزبيدي: تاج العروس، مادة عفتد، والاعتفاد: أن يتعفف الإنسان عن سؤال الآخرين، فيقرر الموت
 جوعاً وعطشاً، وذلك بإغلاق بابه عليه حتى الموت.

^(٩١) الزبيدي: تاج العروس، مادة عفتد.

علم هاشم بن عبد مناف بذلك، فاجتمع بالقرشيين وخطب، فيهم قائلاً «إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتكثر العرب، وتذلون وتعز العرب، ويكاد الاعتفاد يأتى عليكم، فقالوا: نحن لك تبع، قال: ابتدئوا بهذا الرجل - يعني أبا ترب - فاغنوه عن الاعتفاد. ففعلوا، ثم إنه نحر البدن، وذبح الكباش والمعز، ثم هشم الثريد، وأطعم الناس فسمي هاشماً، وفيه قال الشاعر^(٩٢):

عَمُرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ عِجَافُ
وأقر أن ما ربحه الغني قسمة بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم على قول مطرود بن كعب الخزاعي^(٩٣):

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرَهُمْ كَالْكَافِي
وقد سرت عادة اقتسام الأموال نصفين بين العديد من القبائل، قال لييد بن ربيعة العامري يذكر اقتسام الأموال^(٩٤):

وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا الْمَالَ نِصْفَيْنِ بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا لَهَاهَا وَذَالِيَا
وما أجمل ما فعله عميلة الفزاري مع ابن عنقاء الفزاري حين وجده يحفر عن البقل ويأكله، فقال: يا ابن عنقاء ما أصارك إلى هذه الحال؟ فقال: تغير الزمان، وتعذر الإخوان، وضم أمثالك بما معهم فقال عميلة: لا جرم، والله لا تطلع الشمس غداً، إلا وأنت كأحدنا، ثم انصرف كل واحد منهما إلى أهله.

^(٩٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر (١٩٦٠م) ج ١، ص ٢٤٤، المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٠٠؛ المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي: أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (د.ت) ج ١، ص ١٧٨؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٧٧.

^(٩٣) القالي: الأمالي، ج ١، ص ٢٤١؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٨٧.

^(٩٤) لييد بن ربيعة: ديوان لييد بن ربيعة، ص ٢٣٠.

فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه لا يأخذه النوم اشتغالاً بما قال عميلة، فقالت له امرأته: ما شأنك؟ فأخبرها الخبر. فقالت: قد خرفت وذهب عقلك، حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن، لا يحفل بما يجري على لسانه. ولما أصبح قالت له ابنته: لو أتيت عميلة فقد وعدك أن يقاسمك ماله، فقال: يا بنية: إن الفتى كان سكران ولا أدري لعله لم يعقل ما قاله. فبينما هما على هذه الحال، إذ أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل، وإذا عميلة قد وقف عليه، فقال: يا بن عنقاء، اخرج إلي، فخرج إليه، فقال: هذا مالي أجمع، هلم نقسمه، فقامه إياه بعيراً بعيراً، وفرساً فرساً، وشاة شاة، وجارية جارية، وغلاماً غلاماً، ثم انصرف، فأنشد ابن عنقاء قائلاً^(٩٥):

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَاشْتَكَيْتُ
دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلَمْ
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَأْفَعَا
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلَّقَتْ فِي جَيْبِهِ
إِلَى مَالِهِ خَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرُ
عَلَى حِينٍ لَا بَدْوٌ يَرْجَى وَلَا حَضْرُ
لَهُ سِيمَاءٌ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصْرِ
وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ

عادات الشرب وأدابه:

شرب الماء:

للشرب عادات عند العرب، وأفضل شربهم الماء، ولهم في شربه وجمعه نظيفاً نقياً عادات خاصة.

لم تتوافر مياه الآبار والعيون دائماً، ولذا جرت العادة على جمع المياه في أماكن مثل البرك والصحاريح والحياض والمصانع والمهارس^(٩٦).

(٩٥) القالي: الأمالي، ج ١، ص ٢٣٧؛ الألويسي: عادات العرب، ص ٥٥-٥٦.

(٩٦) الزبيدي: تاج العروس، مادة صنع، برك؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٧. والمهارس حجر منقور ضخيم لا يقبله الرجال ولا يجركونه لثقله، ويسع ماء كثيراً.

وللعرب طرق في معالجة المياه المالحة والكدرية، من ذلك أنهم إذا اضطروا إلى شرب ماء البحر وضعوه في قدر، وجعلوا فوق القدر قصبات عليها صوف جديد منفوش، ويوقدون تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف، فإذا كثر عسروه، ولا يزالون على هذا الفعل حتى يجتمع لهم ما يحتاجونه من الماء. ويبقى الزعاق في القدر^(٩٧).

وربما حفروا على ساحل البحر أو غيره ما يجتمع فيه الماء المالح، حفرة يرشح الماء المالح إليها، ويحفرون أخرى على مسافة منها يرشح إليها الماء من الأولى، ويحفرون ثالثة حتى يصلوا إلى ماء عذب يصلح للشرب^(٩٨).

أما إذا اضطروا إلى شرب الماء الكدر، فإنهم يعملون على إلقاء قطعة من خشب الساج أو حجر ملتهب يطفأ في الماء الكدر، أو طين أو سويق حنطة، حتى تترسب حولها الكدورة إلى أسفل. وقد يضعون إناءً تحت الماء لتتجمع قطرات الماء الصافية فيه، وربما استعملوا الشب في إزالة كدرة الماء^(٩٩).

ومن عادة العرب شرب الماء بأيديهم، بأن يمدوا أيديهم في عين الماء أو مستجمعه ثم يغرفوا فيشربوا، حتى يرتووا. وقد ينطح أحدهم على الأرض ثم يمد فمه إلى الماء فيشرب منه، ومن أواني الشرب لديهم، الكوز، إذا كان له عروة يمسك منها، وإذا لم يكن به فهو كوب. وهناك القدح الصغير الذي يعرف بالغمر وهو أصغر الأقداح. أما العس فهو القدح العظيم الذي يروي الثلاثة والأربعة، والصحن هو العس العظيم، وهو قدح عريض قصير الجدار وهو أكبر الأقداح ويروي العشرين، وهناك

^(٩٧) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٩٦؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٨.

^(٩٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٩٦.

^(٩٩) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٨ نقلاً عن الزبيدي: تاج العروس، ج ١، ص ٣٠٨ مادة شب.

وعاء للشرب يعرف بالإبريق^(١٠٠)، والجنبل هو قدح ضخم من الخشب المنحوت^(١٠١).

أما القعب فهو القدح الذي يروي الرجل، وهو قدح صغير.

قال طرفة بن العبد يذكر القعب^(١٠٢):

وَتَشْرَبُ بِالْقَعْبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ تَقَدَّ بِمِشْفَرِهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ تَنْقَدِ

وللعرب في سقي إبلهم عادات، وكانوا يسمون كل سقية حسب يومها. فإذا سقوا الإبل كل يوم قالوا سقيناها رفهاً، وإذا أوردوها وتركوها في المرعى يوماً قالوا سقيناها غباً، وإذا أقاموها في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها الماء في اليوم الثالث، قالوا سقيناها ربعاً. وتمام إظماً الإبل ثمانية أيام غالباً، فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه وهو العاشر من الشرب الأول، قالوا سقيناها عشراً^(١٠٣).

عادات العرب في سكناهم ومجالسهم وأنديتهم:

اعتاد العرب حياة التنقل في البوادي، فهم ينتجعون ويتبعون مساقط الغيث، فلا يزالون في النجع حتى يهيج العشب من غام قابل، وتنتشر الغدران فيرجعون إلى مراتعهم. يعيشون في خيام مصنوعة من وبر الإبل في الغالب أو من شعر الماعز^(١٠٤). وتعتمد حياتهم على الإبل أكثر من غيرها؛ لأنها أصبر على طبيعة الصحراء وتحتمل الجوع والعطش.

^(١٠٠) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٩٣-٣٩٤؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٨.

^(١٠١) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ٣٠٣.

^(١٠٢) أبو زيد القرشي: محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام تحقيق: محمد علي

الهاشمي، الرياض، لجنة البحوث والتأليف والنشر (١٤٠١هـ) ج ١، ص ٤٣٣.

^(١٠٣) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١ ص ٣٩٤؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٧٨.

^(١٠٤) الزبيدي: تاج العروس، مادة وبر؛ جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٢٨٧.

وعاش الحضرم منهم في تجمعات سكنية من بيوت وأكواخ وعشش من طين، وربوا الإبل وسواها، واعتاد بعضهم زراعة الأرض وتعلق بها، ومارس بعضهم حرفاً يدوية خصوصاً عرب اليمن، كما مارس بعضهم التجارة، وفرشوا بيوتهم فرشاً بسيطة، من حُصْر، وقد يضاف إليها الوسائد، لأن من عادة العرب الجلوس على الأرض، وعلى الحصير والبسط. وقد يجلسون على وسائد.

أما بيت سيد القبيلة وذوي اليسار، فيفرش بالبسط وغيرها. وتوضع الوسائد في صدر المجلس ليتكى عليها الجلوسون، ويتوسدها أصحاب المنزل عند النوم. ويعد تقديم الوسائد إلى الضيوف من التكريم^(١٠٥).

ويجلس كبار القوم على سرير وخاصة الملوك ولذلك عبروا عنه، فقالوا سرير الملك. وعقد أحد الشعراء موازنة بين من يجلس على السرير ومن يجلس على الحصير فقال^(١٠٦):

فَأَضْحَى كَالْأَمِيرِ عَلَى سَرِيرٍ وَأَمْسَى كَالْأَسِيرِ عَلَى حَصِيرٍ

كانت بيوت العرب حارة بسبب طبيعة مناخ الجزيرة العربية، وقد حاولوا التخفيف من شدة الحر باستخدام المراوح، ورش الأرض والحصر بالماء حتى تبرد، ويطيب النوم في جو رطيب. ويعمدون إلى رش الستر والخيش بالماء ليبرد الهواء الذي يخترق مساماتها^(١٠٧). وقد اتبع العباسيون هذه الطريقة في تبريد بيوتهم، فكانوا يبلون الخيش ويضعونه على سقوف بيوتهم لتبرد.

ومن عادات العرب في مجالسهم قيام القاعد للقادم عند قدومه، وتوجيه التحية له، وإذا كان القادم ذا مكانة، وقفوا على أرجلهم، وقد عجب الجاحظ من نظام

^(١٠٥) جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٢٧٧.

^(١٠٦) الزبيدي: تاج العروس، مادة حصر.

^(١٠٧) المصدر السابق، مادة روح، رش، حصر.

بعض القبائل لمعرفة منازلها وأقذارها. فقال: «ومن الأعاجيب أن الحارث بن كعب لا يقوم لحزم، وحزم لا تقوم لكندة، وكندة لا تقوم للحارث بن كعب»^(١٠٨).

ومن عاداتهم تحية بعضهم عند اللقاء، ولكل طائفة ألفاظ. ويغلب أن تكون تحيتهم في أول النهار: «أنعم صباحاً، أو أنعموا صباحاً، والنعم من طيب العيش والحياة، ويتبعونها بكلمة صباحاً، لأن الصباح أول النهار، فإذا حصلت فيه النعمة استمرت اليوم كله، فخصوها بأوله إيداناً بتعجيلها، وعدم تأخرها إلى أن يتعالى النهار. وقد يقولون في المساء «أنعموا مساءً أو عموا، أو أنعم مساءً أو عمّ مساءً». لأن الزمان صباح ومساء. فإذا نعم مساؤه، كان صباحه سعيداً، ولهذا يقول الناس: صباحك الله بخير، ومساك الله بخير»^(١٠٩)، قال الشاعر يلقي تحية الصباح^(١١٠):

أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي
وأصبحت التحية في الإسلام، السلام عليكم ذلك لأن السلامة لاهياة ولا فلاح إلا بها^(١١١).

اعتاد العرب على الاجتماع في الأندية التي يقصدها أشراف القبائل وغيرهم. وكانوا إذا اجتمعوا في النادي تداولوا أمور القبيلة، وما وقع بين القبائل، ونظروا في أيامهم الماضية، وكانوا يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بما أنجزوه، وبالأعمال المجيدة التي قاموا بها^(١١٢).

^(١٠٨) الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، رسالة مناقب الزك، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ت) ج ١، ص ٨١-٨٢.

^(١٠٩) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٩٢-١٩٣.

^(١١٠) المصدر السابق نفسه وعم من نعم.

^(١١١) المصدر السابق نفسه.

^(١١٢) الأصبهاني، أو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، القاهرة، دار الكتب (د.ت) ج ٢، ص ٥٢.

كما كانت هذه المجالس والأندية مجالس للترفيه إلى جانب وظائفها الأخرى. ولكل قبيلة ناد، لا بل لكل فخذ من أفخاذها ناد^(١١٣). وتنشط الأندية وقت الضحى، ولكنها تكون مفتوحة طوال النهار والليل. قال الشاعر فيها^(١١٤):

كَأَنِّي لَمْ أَجْلِسْ بِفَيْئِكَ بِالضُّحَى وَلَمْ أَكْ مَسْرُورًا بِمَنْ فِيكَ نَاعِمًا

كما كانوا يستقبلون ضيوفهم في النوادي، ويكرمونهم بتقديم الطيب إليهم، أو تبخيرهم بمبخرة فيها نار، يرمى عليها شيء من بخور ومواد عطرة أخرى، تنبعث منها رائحة طيبة، تتجه نحو الشخص المراد تكريمه فيتبخر بها^(١١٥).

واعتماد الرجال على حمل العصا والقضب والمخاصر في مجالسهم وأثناء الخطب، قال معن بن أوس المزني يذكر عصا الخطباء^(١١٦):

فَلَا تُعْطِي عَصَا الْخُطَبَاءِ يَوْمًا وَقَدْ تَكْفِي الْمَقَادَةَ وَالْمَقَالَا

وقال الفرزدق يذكر حمل علي بن الحسين (زين العابدين) لمحصرة من الخيزران في يده أثناء الخطبة^(١١٧):

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبْقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ

وقال الأنصاري^(١١٨):

^(١١٣) ابن إسحاق، محمد المطليبي: السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، ط ١ (١٩٨٧م) ص ٢٨؛ ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي: المنطق في أخبار قريش، تحقيق: حورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب (١٩٨٥م) ص ٣٣٩.

^(١١٤) الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس المكي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن دهب، مكة، مكتبة النهضة الحديثة (١٤٠٧هـ)، ج ٣، ص ٣٥١.

^(١١٥) الزبيدي: تاج العروس، مادة جمر.

^(١١٦) الجاحظ: البيان، ج ٣، ص ١٠.

^(١١٧) الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، بيروت، دار صادر ودار بيروت (١٩٦٦م) ج ٢، ص ١٧٩.

^(١١٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٧١.

يُصِيبُونَ فَصَلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيَّمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ
وكانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها. وقد رمزت العصا إلى أمور
عديدة فهي دلالة على الطاعة والجماعة، ومنها قولهم لمن خالف الجماعة: «شق العصا».
وكذلك رمز بالعصا إلى من بلغ موضعه وأقام، ف قيل: «ألقى المسافر عصاه» أو
«ألقى عصا الترحال».

وقال عبد ربه السلمي يذكر إلقاء المسافر عصاه^(١١٩):

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرُّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ
ويقال للشخص اللين حسن السياسة، «إنه لين العصا». ولمن قل ماله وإبله، إنه
«ضعيف العصا». ولمن يشبه أباه، «إن العصا من العصية»، أي إن بعض الأمر من
بعض^(١٢٠).

وجرت العادة أن يقرع بالعصا للتنبيه والتحذير لمن يقل انتباهه، فيرجع إليه
فهمه، وقد قرعت العصا لعمر بن حممة الدوسي وهو من أصحاب الحلم، وقيل لعامر
ابن الظرب حكيم العرب وذلك بعد أن طال عمره، وضعف انتباهه وفهمه. فقال
لابنته إذا أنكرت من فهمي شيئاً، فاقرعي لي بالعصا لأرتدع. وإليه أشار الحارث بن
وعلة^(١٢١):

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ
واعتاد العرب حمل القضب أيضاً، وهذا من علائم السلطة والنفوذ. وكان
أحدهم إذا جلس وفكر في أمره، أو أراد الإجابة على سؤال يحتاج إلى روية وهدوء،

^(١١٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٤٠؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١٤٣؛ الألويسي: بلوغ
الأرب، ج ١، ص ٣٣٢.

^(١٢٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٩؛ الزبيدي: تاج العروس، مادة عصا؛ جواد علي: المفصل
ج ٤، ص ٦١٥.

^(١٢١) المرزوقي: شرح الحماسة، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٣٢.

نكث الأرض بالقضيب الذي يحمله بيده. وقد استمر ذلك في الإسلام، فحين حضر رسول الله ﷺ إلى البقيع، ومعه محصرة، جعل ينكث الأرض بها^(١٢٢).

وهكذا يتضح أن عادات العرب المعيشية تتناسب مع أوضاعهم الاجتماعية ومستواهم المعيشي. فرغم انخفاض مستوى المعيشة عند بعضهم، ظلت العادات متقاربة، غنيهم شارك فقيرهم المعاش، وقويهم حمى ضعيفهم، ووصلوا إلى درجة اقتسام الأموال فيما بينهم، ونذر أن نرى مثل هذه العادة الكريمة عند غيرهم من الأمم، وهم وإن لم يكن لهم حكومات منظمة، فإن عاداتهم القبلية كانت دستوراً لهم. وكانوا يتخذون القرارات المهمة في نوابدهم، مما أضفى على حياتهم نوعاً من الترابط الاجتماعي والنظام الذي أدى إلى بقائهم واستمرارهم. وساعد ذلك على تقبلهم لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

عادات اللباس:

من المتعارف عليه أن مكانة الشخص وسنه، يحددان نوع لباسه. ولكن جرت العادة عند العرب أنهم على اختلاف طبقاتهم، وخاصة ذوي اليسار منهم، يرتدون الملابس الرقيقة الحريرية، أو القطنية أو الكتانية، وغيرها من الثياب الغالية. وقد عجب بعضهم من انتشار لبس الحرير (الخنز) بين غالبية الناس أغنياء وغيرهم، قال ابن قنّان المحاربي يذكر لبس الفقراء للخنز:

عَجَبًا لِهَذَا الْخَنْزِ يَلْبَسُهُ مَنْ كَانَ مُشْتَاقًا إِلَى الْخُبْزِ
مَنْ كَانَ يَشْتَوِي فِي عِبَائِهِ مُتَقَبِّضًا كَتَقْبِضِ الْعَنْزِ

^(١٢٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١.

ومن أنواع الخبز الذي انتشر لبعده، الديباج الذي قال فيه لبيد بن ربيعة^(١٢٣):
 تَحْسُرُ الدَّيْبَاجَ عَن أذْرُعِهِمْ عِنْدَ ذِي تَاجٍ إِذَا قَالَ فَعَلُّ
 ومنه الدمقس الذي وصف المنخل اليشكري فتاة تلبسه وتتبختر فيه^(١٢٤):
 الكَاعِبُ الحَسَنَاءُ تَرْفُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الحَرِيرِ
 وكانت الملابس مقطعات وغير مقطعات، فالمقطع من الثياب، كل ما يفصل
 ويخاط من قميص وجلباب وسراويلات، ومالا يقطع كالأردية، والأزر، والمطارف،
 والرياط، ويتعطف لابسها بها مرة، ويتلفع بها أخرى^(١٢٥).
 واعتاد الأغنياء من الرجال والنساء والشباب خاصة، على المبالغة في طول
 ألبستهم، فيزكونها تجر على الأرض خيلاء وتبها^(١٢٦). ومما يدل على ذلك كثرة
 الأشعار التي تذكر جر الذبول، قال عمر بن أبي ربيعة^(١٢٧):
 كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُ الذُّبُولِ
 وقال لبيد بن ربيعة يصف جر الذبول^(١٢٨):
 مِنَ المُسْبِلِينَ الرِّيطَ لَدُنَّا كَأَنَّمَا تَشْرَبُ ضَاحِي جِلْدِهِ لَوْنٌ مُذْهَبٌ

^(١٢٣) لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٤٨.

^(١٢٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ٢، ص ١٧٤.

^(١٢٥) الزبيدي: تاج العروس، مادة قطع، جيب؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٥٣.

^(١٢٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدي سيد العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

الكويت، مؤسسة الرسالة، ط ٥ (١٩٩١م) ج ١، ص ٣٥.

^(١٢٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٦٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٤٦.

^(١٢٨) لبيد بن ربيعة: ديوان شعر لبيد بن ربيعة، ص ٢٠٨. والمسبل: المرخي إزاره. الریط: الإزار. لسذ:

صاب لذة. المذهب: الذي خالطه الذهب.

ويبدو أن جر الذبول استمر بعد الإسلام، رغم تحريمه، لما في هذه العادة من مظاهر التكبر والخيلاء. قال كثير عزة وهو من شعراء العصر الأموي يصف جر الذبول^(١٢٩):

لَهُمْ أَزْرٌ حُمْرُ الْحَوَاشِي يَطَوْنَهَا بِأَقْدَامِهِمْ فِي الْحَضْرَمِيِّ الْمُلْسَنِ

ومن عادة العرب اتخاذ أفضل ما عندهم من الملابس إذا زاروا كبير القوم أو سيد القبيلة، أو الملك، كالذي فعله وفد كندة حين حضروا للدخول على رسول الله ﷺ وقد «رجلوا جُمهم، وتكحلوا، عليهم جبب الحيرة قد كففوها بالحرير، وعليهم الديباج ظاهر مخوص بالذهب، فقال لهم رسول الله ﷺ: ألم تسلموا؟ قالوا بلى، قال: فما بال هذا عليكم: قال: فشقوه وألقوه»^(١٣٠) أما قطع اللباس فمنها: الأزر: وهي من غير المقطعات، يلف بها القسم الأسفل من الجسم لستره، ويلبس مع الرداء غالباً.

السراويل: ويغطي السرة والركبتين معاً، وقد يطول فيغطي الساقين.
الثوب: ويغطي الجسم كله أو بعضه، وقيل هو الجلباب يلبسه الرجال والنساء، ومنه ماله أكمام، ومنه بغير أكمام^(١٣١)، وكان ﷺ وسلم يلبس ثوبين مصبوغين بالزعفران^(١٣٢).
الدراعة: وهي جبة مفتوحة من الأمام، منها القصيرة والطويلة^(١٣٣).

^(١٢٩) كثير عزة: ديوانه، ص ٢٥٢.

^(١٣٠) ابن سيده: المخصص، ج ٤، ص ١٨٣.

^(١٣١) عمرو، محمد: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، بيروت (د.ط) (١٤٠٣هـ) ص ٢٢٦.

^(١٣٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢١٥.

^(١٣٣) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي،

ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية (د.ت) ج ١، ص ١٠٨.

البرد: انتشرت البرود وتعددت أنواعها، فمنها اليمينية التي امتازت بطول ذيلها، قال قيس بن الخطيم يصفها^(١٣٤):

تَخْطُو عَلَيَّ بُرْدِيَّتَيْنِ غَدَاهُمَا غَدَقٌ بِسَاحَةٍ حَائِرٍ يَعْبُوبِ

واشتهرت مدينة معافر بالبرود حتى نسب إليها، فقليل: برد معافري، وثوب معافري. وهناك البرود الشرعية، التي ذكر أنها الثياب الحارية نفسها التي ذكرها امرؤ القيس في شعره، فقال^(١٣٥):

فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفْنَا ظُهُورَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشَطَّبِ

كما اشتهرت برود الحيرة التي كانت غالية الثمن، وتعددت أنواعها وأطوالها، واختلفت طرق لبس البردة، فهي إما أن يتأبطها أو يلتفع بها حتى تشمل الجسد كله وهو الالتحاف، وقد يتعمم الرجل بشقة برده^(١٣٦). وقد تطول حتى تجر جراً.

القميمص: وهو من الثياب المقطعة، ويكون من قطن قصير الطول والكمين^(١٣٧)، يرتديه النساء والرجال.

الرداء: يوضع على المنكبين ويجمع العنق، ويغطي القسم الأعلى من الجسم، ويكون من قطعة واحدة^(١٣٨). قال بشار بن برد يذكر رداء الخنز^(١٣٩):

- ^(١٣٤) قيس بن الخطيم: ديوانه، ص ٥٩.
- ^(١٣٥) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٥٣.
- ^(١٣٦) الفاكهي: أخبار مكة، ص ١٩٨، ٢٤٣؛ ابن زنجويه، حميد بن مخلد: الأموال، تحقيق: شاعر فياض، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١٤٠٦هـ) ج ١، ص ٧٥.
- ^(١٣٧) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج ١، ص ٣٤.
- ^(١٣٨) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٥٣-٥٤.
- ^(١٣٩) بشار بن برد العقيلي: ديوانه، تصحيح: محمد رفعت فتح الله وزميله، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٦٧) ج ٢، ص ١٧٥.

يُنَا كَذَا إِذْ بَرَّقَتْ بُرْقَةٌ بَيْنَ رِداءِ الْخَزْرِ وَالْمَجْسَدِ
 العباءة: لبس العرب العباءة فوق ملابسهم، فكان منها الثقيل والخفيف. وتصنع
 أحسن العباءات من الوبر. وقد تفنن العرب فيها. وتخصصت بعض الأماكن
 بنسجها^(١٤٠).

الطيالسة: اعتاد العرب على لبس الطيالسة، قال مسكين الدارمي يذكرها^(١٤١):
 بِأَرْضِ كَسَاهَا اللَّيْلُ ثَوْبًا كَأَنَّمَا كَسَاهَا مُسُوْحًا أَوْ طَيَالِسَةً خُضْرًا
 فتلک الملابس مشتركة بين الرجال والنساء، وكان هناك ملابس خاصة
 بالرجال، منها:

الجبّة: وهي من المقطعات، ومن ألبسة الموسرين، لأنها من الخبز أو الدجاج
 وغيره، وتعدد ألوانها، وقد تكون واسعة الكمين أو ضيقتها. وقد أهدى الأكيذر
 إلى رسول الله ﷺ جبة من دجاج منسوج فيها الذهب^(١٤٢).

العمامة: اعتاد العرب على لبس العمامة حتى أصبحت رمزاً للعرب، اختلفوا بها
 من بين الأمم، فقبل اختص العرب بأربع: «العمائم تيجانها، والدرع حيطانها،
 والسيوف سيجانها، والشعر ديوانها»^(١٤٣). وقد بالغوا في ذلك حتى جعلوا العمامة
 رمزاً للعرب، إذا زالت زالت عروبتهم. قال غيلان بن خرشة للأحنف: يا أبا بحر: ما
 بقاء ما فيه العرب؟ قال: إذا تقلدوا السيوف، وشدوا العمائم، وركبوا الخيل^(١٤٤)
 وورد عن عمر بن الخطاب قوله: «العمائم تيجان العرب»^(١٤٥).

^(١٤٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٠؛ ابن سيده: المخصص، ج ٤، ص ١١٨.

^(١٤١) مسكين الدارمي: ديوانه، ص ٤٦.

^(١٤٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ٢٣؛ جواد علي، المفصل، ج ٥، ص ٥٢.

^(١٤٣) النعالي: مزار القلوب، ص ١٥٩.

^(١٤٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ٥٩؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٤٠٩.

^(١٤٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٠.

والعرب تقول للرجل إذا ساد قومه: (قد عمم)، ذلك أنهم إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء^(١٤٦). فالعمامة تعبر عن شرف الرجل ومكانته، فإذا قال العرب: «سيد معمم» فإنهم يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من عشيرته معصوبة برأسه^(١٤٧). قال دريد بن الصمة يوضح أن السيد المعمم تعصب بلمته كل ما يجنيه الجاني من جناية^(١٤٨):

أَبْلِغْ نَعِيمًا وَأَوْفَىٰ إِنْ لَقَيْتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمٌ
فَلَا يَزَالُ شَهَابًا يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَابِ مَالَمْ تَهْلِكِ الصَّمَمُ
عَارِي الْأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلَمَّتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عَرْنِيهِ شَمَمٌ

والعمامة رمز العزة، فإذا اعتدى أحد عليها لحق الذل بصاحبها. وإذا أهين شخص، أو شعر بإهانة لحقت به، ألقى بعمامته على الأرض، ونادى بوجوب إنصافه^(١٤٩).

كانت العمامة خاصة بأغنياء العرب وأوساطهم، ولم تكن الطبقة الفقيرة والعامية تتمكن من اقتنائها، وإنما تضع على رأسها أغطية أخرى أخف وأقل وزناً. وكان السادة يتفننون في لبس العمامة واختيار ألوانها، فبعضهم جعلها صفراء، ومن هؤلاء الزبرقان بن بدر، وإلى ذلك أشار المخيل السعدي فقال^(١٥٠):

^(١٤٦) ابن منظور: اللسان، مادة عم.

^(١٤٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٩٩.

^(١٤٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٤٠٩.

^(١٤٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٥٢؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٤٠٩.

^(١٥٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٩٧؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٤٠٨. وجاءت القافية

عنده (المعصفر) والسبب: العمامة.

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ سَبَّ الزَّبْرِ قَانَ الْمُزْعَفَرَا
ولطريقة شد العمامة ووضعها على الرأس أسماء متعددة، ويختلف حجم العمامة
وأوانها باختلاف العمر، واختلاف المكانة الاجتماعية، فللشباب عِمَّة، وللكهول
وللشيوخ عِمَّة. وللخلفاء عِمَّة، وللفقهاء عِمَّة، وللبقالين عِمَّة، وللأعراب عِمَّة، ولكل
عمة^(١٥١).

وكانت عمائم العرب محنكة^(١٥٢)، وقد جرت عادة العرب بإرخاء العذبات.
وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى.

قال جرير يذكر إرخاء العذبة^(١٥٣):

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
وكما اختلفت ملابس الرجال، فإن المرأة اختلفت بمجموعة منها. وكانت
ملابسها طويلة إجمالاً، وكانت النساء تجر ذبول ملابسها جرّاً، قال
الأعشى^(١٥٤):

وَالسَّاحِبَاتُ ذُبُولُ الْخَزَّ آوَنَةَ وَالرَّافِلَاتُ عَلَى أَعْجَازِهَا الْعِجَلُ
وقال الحارث بن خالد المخزومي^(١٥٥):

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَرَخَتْ عَلَى الْمَتْنَيْنِ بُرْدًا مُهَلَّهَلا

^(١٥١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٤.

^(١٥٢) أي يوضع طرفها تحت الحنك.

^(١٥٣) جرير بن عطية الكلبي: ديوانه، بشرح: محمد حبيب، تحقيق: محمد أمين طه، القاهرة، دار المعارف

(د.ت) ج ٢، ص ٥٧٠؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٢٩.

^(١٥٤) الأعشى: ديوانه، ص ١٠٩.

^(١٥٥) الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج ١، ص ٢١١.

ومن ملابس المرأة:

الريطة: وهي الملاعة من قطعة واحدة، وهي كل ثوب لين رقيق.

قال كثير عزة^(١٥٦):

كَسُونِ الرَّيْطَ ذَا الْهُدْبِ الْيَمَانِي خُصُورًا فَوْقَ أَعْجَازِ ثَقَالِ

الثوب القطني: وقد وصف طرفه بن العبد لبس النساء لثوب قطني سماه السحل،

فقال^(١٥٧):

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةَ مَجْلِسِ تَرِي رَبِّهَا أَذْيَالِ سَحْلِ مُمَدِّدِ

المرط: وهو كساء من صوف أو خز، ويظهر أن ذيله كان طويلاً ينسحب على

الأرض، قال امرؤ القيس يصفه^(١٥٨):

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلِ مِرْطٍ مُرْحَلِ

الصدر: وليس كل نساء العرب تلبسه، ويبدو أنه ثمين ولا تطيقه كل النساء،

قال عروة بن الورد يفخر بأنه سلب من قبيلة طيء سبأيا من اللائي يرتدين الصدر،

ويقصد بذلك من الحرائر ذوات المكانة^(١٥٩):

تَرَى كُلَّ بَيْضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةً تُفْرِي - إِذَا شَالَ السَّمَاءُ - صِدَارَهَا

الحبرة: وهي ضرب من برود اليمن قد تكون موشاة^(١٦٠):

^(١٥٦) كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٢٢٨.

^(١٥٧) طرفه بن العبد: ديوان طرفه، ص ٤٢. وذالت: تبخرت. وليدة: صبية أو جارية. سحل ممدد: ثوب

قطني أبيض طويل.

^(١٥٨) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٤.

^(١٥٩) عروة بن الورد: ديوانه، ص ٤٣.

^(١٦٠) ابن منظور: لسان العرب، مادة حبر.

الخمارة: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، ويسمى في عصرنا الطرحة. وله أسماء متعددة، منها النصيف، والقناع، والبرقع، والسب، وقد ذكر كثيراً في أشعار العرب، قال صخر يذكر أن الخنساء ستمزق خمارها حزناً عليه إذا هلك، ولذلك سيمنحها أفضل ماله^(١٦١):

وَاللَّهِ لَا أَمْنَهُهَا شَرَّارَهَا وَلَوْ هَلَكْتُ مَزَّقْتُ خِمَارَهَا
وَجَعَلْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

وقال مسكين الدارمي يذكر لبس المرأة للخمار الأسود، والذي يمنح المرأة جمالاً وبهاءً، ويجعل الناسك المتعبد ينسى نفسه وينشغل بها^(١٦٢):

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ مَاذَا أَرَدْتَ بِنَاسِكَ مُتَعَبِّدِ
قَدْ كَانَ شَمْرًا لِلصَّلَاةِ ثِيَابَهُ حَتَّى قَعَدَتْ لَهُ بِيَابِ الْمَسْجِدِ

والمرأة الحرة لا تنزع الخمار إلا في حال حزن شديد أو حرب تخشى فيها علي نفسها الأسر، وترى للتخلص منه أن تشبهه بالجواري، ووصفت امرأة من بني شيبان ذلك فقالت:

أَلْقَيْتُ جِلْبَابِي لِعِظْمِ رَزِيَّتِي وَبَرَزْتُ سَافِرَةً بِغَيْرِ خِمَارِ

وقال باعث بن صريم يصف امرأة نزع خمارها خوف الأسر، فبرزت من حدرها حاسرة الرأس، منشورة الخمار^(١٦٣):

^(١٦١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، حقق نصوصه وعلق حواشيه: عمر

الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط ١ (١٩٩٧م) ص ٢٤٠؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد،

ج ٣، ص ١٩٦ مع بعض الاختلاف.

^(١٦٢) مسكين الدارمي: ديوانه، ص ٣٠.

^(١٦٣) القالي: الأمالي، ج ١، ص ١٩٩؛ المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ٢، ص ٥٣٥.

وَخِمَارٍ غَانِيَةٍ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا
وتعد المرأة نزع الخمار دون هذين السبين عاراً عظيماً، فحين انتزع بنو بكر
خمار فكيهة بنت قتادة لإجارتها للسليك بن السلكة، أنشد واصفاً هذا الموقف
قائلاً^(١٦٤):

عَنِتُّ بِهَا فَكِيهَةً حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السِّيفِ وَأَنْتَزَعُوا الْخِمَارَا
مِنَ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لِرِوَالِدِهَا شَنَاارَا
القناع: لبست المرأة القناع لتغطي به رأسها وتحفي محاسنها. وكانت الحرة
تلبسه دون الأمة. وقد جاء ذكر القناع عند عدد من الشعراء، قال عروة بن
الورد^(١٦٥):

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
البرقع: ويغلب أن المرأة العربية كانت تتبرقع، ولا تدع برقعها إلا لحادث
مهم، قال توبة بن الحمير يذكر أن ليلي كانت تتبرقع منه إذا جاء إليها^(١٦٦):
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبْرَقَعْتُ فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا
لم يختص الرأس والجسم دون غيرهما لباس خاص فقد كان للقدم لباسها أيضاً.
واعتماد العرب على لبس النعال، وكانوا يفضلون لبسها على غيرها من ألبسة القدم،
مثل الخف. واختلفت النعال في أشكالها، فمنها الجيدة، ومنها مادون ذلك، قال النابغة
بمجد بلبس النعال الرقيقة التي تدل على علو المستوى الاجتماعي^(١٦٧):

^(١٦٤) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١ ص ١٣٩.

^(١٦٥) عروة بن الورد: ديوانه، ج ٤، ص ٣١.

^(١٦٦) أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص ٧٢.

^(١٦٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٦-١٠٧؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢١٩؛

الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٤١٣.

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

وكان البعض يخصف نعله لإصلاحها، ولتطول مدة الانتفاع بها، وهذا شأن المحتاجين والفقراء، أما الأغنياء فلا يفعلون ذلك. وقد مدح عتبية بن مرداس بعدم خصف النعال، وبعدم لبسها إلا بعد أن يجعل لها خصران دقيقان، فقال^(١٦٨):

إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يَخْصُرِ

وإذا كانت النعال لحماية الأقدام، فإن النساء استعملنها إلى جانب ذلك لغايات أخرى. فقد كانت ذوات المصائب منهن إذا قمن في المناجات يضربن صدورهن بالنعال.

وهكذا يبدو أن العرب اهتموا بلباسهم، فقيرهم وغنيهم، وإن اختلف مستوى لباس الغني عن لباس الفقير. وكان اللباس متنوعاً من حيث المادة التي يصنع منها، وطريقة اللبس، فكان هناك لباس داخلي، وآخر خارجي. وهناك لباس يستر الجسد، وآخر للرأس، وثالث للقدم. وكان لباس المرأة محتشماً، فهي ترتدي اللباس الذي يستر جسدها كاملاً، وتضع الخمار والقناع على رأسها ووجهها، ولا تخلعهما إلا في ظروف طارئة، واشتهر العرب بجر الذبول خيلاء وتيهاً، وجاء الإسلام فمنع ذلك.

عادات الزينة وأدائها

بلاد العرب محفوفة بمصايد اللؤلؤ والمرجان، وهي مستورد الذهب والفضة والزربرد والعقيق والياقوت، وأشباهها، فليس بدعاً أن تهتم النساء بلبس الجواهرات في أعناقها وصدورها ومعاصمها وأصابعها وأقدامها. ولما كان من طبع الإنسان الميل للظهور بمنظر حسن، فقد اهتم الرجال والنساء بالزينة التي ما تزال الوسيلة الأولى

^(١٦٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٩.

لإخفاء أثر السنين، وتزوير الأعمار، وزيادة الحسن، وإخفاء العيوب، فالزينة يبدو الكهول شباباً، والشيوخ كهولاً، وبالزينة يزداد الإنسان اعتداداً بنفسه، ويزداد شعوره بالجمال، وإقباله على الحياة^(١٦٩).

ومن عادة العرب الاهتمام بشعورهم. واللحية عندهم رمز الرجولة وزينتها، وسيماء تكريم الرجل وتقديره، وإهانتها هي من أعظم الإهانات، كما أن تقبيلها من علامات التقدير والاحترام والإجلال ويعد نفث اللحية أو حلقها إهانة كبيرة تنزل بصاحبها.

ومن عاداتهم القسم باللحية، وهو من الأيمان المغلظة، يمسك الحالف لحيته بيده اليمنى فيحلف بحقها أنه لا يكذب، أو أنه سيفعل. وإذا مد غريب يده على لحية رجل أكبر منه قدراً، وأقسم بها أو استجار، وجب على صاحبها الأخذ بقسمه وإعانتة. وقد يمسك غريب محتاج، أو مطار د لحية سيد قبيلة أو شريف قوم ويطلب حمايته، فيفعل^(١٧٠).

ومن عادة العربي ألا يخلق لحيته، بل يسويها، ويهذبها، ويجعلها مديبة في الغالب. وحين تكون اللحية كثة كبيرة منتظمة، يقال لصاحبها: «اللحيان» أو «رجل لحيان»^(١٧١).

وتنسب عادة إكرام اللحي إلى سنن إبراهيم. وقد استمر ذلك بعد الإسلام. فقد ذكر أن الرسول ﷺ دعا إلى إرخاء اللحي، وقص الشارب، فقال: «جزوا

^(١٦٩) الجبوري، يحيى: الزينة في الشعر الجاهلي، الكويت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١

(١٩٨٤م)، ص ١٥.

^(١٧٠) حواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦٠٩.

^(١٧١) الزبيدي: تاج العروس، مادة لحي.

الشوارب، وأرخوا اللحى، وخالفوا المحوس»^(١٧٣). وورد أنه قال: «خالفوا المشركين، ووفروا اللحى، واحفوا الشوارب»^(١٧٣).

وقد اعتاد رجال العرب قبل الإسلام على الاهتمام بشعرهم فكانوا يدهنونه ببعض المواد حتى يغزر ويتدلى على المنكبين، ويمشطونه. وهم يرون جز الشعر والناصية من أكبر الإهانات^(١٧٤).

وقد يترك العرب الشعر يتدلى على الأكتاف، أو يظفرونه ضفائر (غدائر) متعددة، ومنهم من يظفر ضفيرتين يجعلهما تتدليان على جانبي الوجه. قال امرؤ القيس يصف الغدائر وهي تتدلى^(١٧٥):

غَدَائِرُهُ مَسْتَشْرَزَاتٌ إِلَى الْعُلَا تُضِلُّ الْمَدَارِي فِي مَثْنِيٍّ وَمُرْسَلِ

وكان رسول الله ﷺ يسدل شعره، ثم يفرقه فرقتين، كل فرقة ذؤابة. وكان يظفره أحياناً ضفيرتين، وإذا طال جعله أربعاً. وكان يكثر دهن رأسه ولحيته، ويجب ترجيل شعره بنفسه، أو ترجله نساؤه^(١٧٦).

وكان ينصح المسلمين بتهديب شعرهم، فحين دخل رجل إلى المسجد ثائر الرأس واللحية، أشار إليه رسول الله ﷺ أن اخرج فأصلح رأسك ولحيتك، ففعل، ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: «أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»^(١٧٧).

^(١٧٣) مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، باب الطهارة، حديث رقم ٣٨٣.

^(١٧٣) البخاري: صحيح البخاري، باب اللباس، حديث رقم ٥٤٤٢.

^(١٧٤) الجبوري: الزينة، ص ٧٣.

^(١٧٥) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٧.

^(١٧٦) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج ١، ص ٤٤-٤٥. الترجل هو التسريح.

^(١٧٧) مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود محمد خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط ٢ (١٩٩٣م) ج ٢، ص ١٢٧؛ ابن عبيد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢١٨-٢١٩.

وكانت النساء أكثر اهتماماً بشعورهنّ لأن الشعر تاج المرأة، واعتادت النساء تسريح شعورهن وتجعدها وصبغها بالحناء والوسمة والكتم والزعفران، وتعطيها بأنواع العطور، ودهنها بأصناف من الدهون والزيوت لتصبح لينة لامعة ناعمة، وغسلها بأنواع الغسول، ووضفها ضفائر وغدائر، أو تركها تتدلى على أكتافهم. وقد ألهبت قرائح الشعراء بشعر النساء فشبهوه بالليل وخبوط الحرير وعناقيد الكرم، وعذوق النخل، وعساليح العنب^(١٧٨). قال امرؤ القيس:

وَفَرَعٌ يَغْشَى الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِلِ

وشبه عنزة بن شداد شعر المرأة بدجى الليل، وقد قرن بين غرتها البيضاء وسواد شعرها فقال^(١٧٩):

وَيَطْلُعُ ضَوْءُ الصُّبْحِ تَحْتَ جَبِينِهَا فَيَغْشَاهُ لَيْلٌ مِنْ دُجَى شَعْرِهَا الْجَعْدِ

وقال كثير عزة^(١٨٠):

وَتُدْنِي عَلَى الْمُتَيْنِ وَحَفَا كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرَمٍ قَدْ تَدَلَّى فَأَنْعَمَا

وقد مدح أحد الشعراء الشعر الجعد بقوله^(١٨١):

قَدْ تَيْمَمْتَنِي طِفْلَةٌ أُمَّلُودٌ بِفَاحِمٍ زَيْنَهُ التَّجْعِيْدُ

واعتادت المرأة تمشيط شعرها بالمشط أو المدري^(١٨٢).

ومما ذكر كثير. قال^(١٨٣):

^(١٧٨) الجبوري: الزينة، ص ٦٧.

^(١٧٩) عنزة بن شداد: ديوانه، طبعة شليبي، القاهرة (د. ط. ت) ص ٧٢.

^(١٨٠) كثير عزة: ديوانه، ص ١٣٤.

^(١٨١) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٢٠.

^(١٨٢) يصنع المشط من الخشب، أو العاج، أو الصندل، وقد يتخذ من الذهب أو الفضة أو من معدن آخر.

^(١٨٣) كثير عزة: ديوانه، ص ١٤٤.

وَتَفَرُّقُ بِالْمَدْرَىٰ أَثِيثًا نَبَاتُهُ كَجَنَّةِ غَرْبِيْبٍ تَدَلَّتْ كُرُومُهَا

كما اعتادت النساء الاستعانة بماشطة تمشط هن شعورهن وتحمله في المناسبات، وخاصة في الأعراس والحفلات. قال المخيل السعدي يذكر الماشطة وعملها^(١٨٤):

وَتَضِلُّ مَدْرَاهَا الْمَوَاشِطُ فِي جَعْدٍ أَعْمَمٍ كَأَنَّهُ كَرْمٌ

ومن عناية المرأة بشعرها، أنها قد تصله بخيوط تفتل من صوف مصبوغ بالسواد تسمى العقوص والقرامل^(١٨٥). وقد حرم الإسلام ذلك بقوله: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»^(١٨٦).

ولم يمنع ذلك بعض النساء في الإسلام، منهن جميلة المغنية التي كانت تلبس وفرة (الشعر المستعار)، وكذلك كانت حواريتها. وكان سريج المغني يلبس وفرة^(١٨٧). ومن عادة العرب الجاهليين ضمير شعور أولادهم وبناتهم ضفائر تتدلى على جانبي الوجه ومؤخر الرأس. وقد تبلغ سبع ضفائر، ويزينون كل ضفيرة بحلينة إمعاناً في تدليل الطفل وتجميله، ومتى بلغ مبلغ الرجال يقتصر على ضفيرتين غالباً^(١٨٨).

كما اعتاد العرب حلق شعورهم في بعض المناسبات كالحرب والحج، أما النساء فلا يحلقن شعورهن إلا لمصيبة كبيرة ونازلة عظيمة كوفاة الزوج أو شخص عزيز، أو

^(١٨٤) المفضل الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد: المفضليات، تحقيق: شاعر وهارون، القاهرة، دار المعارف، (١٩٧٦م)، ص ١١٦.

^(١٨٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ١٦.

^(١٨٦) مسلم: صحيح مسلم، باب اللباس والزينة، ج ٤، ص ٨٣٣-٨٣٩.

^(١٨٧) الأصبهاني: الأغاني، ج ٧، ص ١٤٤.

^(١٨٨) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ٧٢.

لدفح الرجال على الصبر في القتال^(١٨٩). وقد نهى الإسلام عن الحلق، لا بل لعن رسول الله ﷺ الخالقة، فقال: «إن رسول الله برئ من الصالقة والخالقة والشاقة»^(١٩٠).

وكان العرب يخضبون رؤوسهم ولحاهم وأيديهم وأرجلهم، واستخدموا في ذلك مواد متعددة، منها الحناء والزعفران و الكتم، وغيرها. ويقال إن عبد المطلب جد الرسول عليه الصلاة والسلام أول من خضب بالسواد من العرب، ولما استعمله في مكة اقتدى به أهلها، وكانوا قبل ذلك يخضبون بالحمرة^(١٩١). قال امرؤ القيس عن خضاب الرأس بالحناء^(١٩٢):

كَأَنَّ دِمَاءَ الْمَهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عَصَارَةُ حِنَاءِ بَشِيبِ مُرَجَّلٍ

واعتادت المرأة خضب شعرها وتغيير لونه حتى تبدو شقراء، وكانت تخلط الحناء بالزعفران فتصبغ به، ويبدو أن بعض الرجال أبدوا غيرة من صبغ النساء لشعورهن، وخاصة الأزواج، فكان أحدهم يوصي ولده ألا يسمح لزوجته بعده بالخضاب لأنه دليل طلب الأزواج.

وكان الخضاب يستعمل لإخفاء ما فعله الدهر بالإنسان. قال عبد الله بن المعتز يذكر أن الخضاب يعيد الشباب^(١٩٣):

وَقَالُوا النَّصُولُ مَشِيبٌ جَدِيدٌ فَقُلْتُ الْخِضَابُ شَبَابٌ جَدِيدٌ

^(١٨٩) الزبيدي: تاج العروس، مادة حلق.

^(١٩٠) البخاري: صحيح البخاري، باب الجنائز، ص ٣٨.

^(١٩١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد: لطائف المعارف، تحقيق: الأبياري والصيرفي، القاهرة، (١٩٦٠م) ص ١٢.

^(١٩٢) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٢٣-٥٥.

^(١٩٣) القالي: الأمالي، ج ١، ص ١١٠ نسبه إلى ابن المعتز، وليس في ديوانه.

واستخدمت النساء الحضاب للزينة فضلاً عن ستر الشيب فحضبن أيديهن وأقدامهن، إضافة إلى شعورهن. وقد وصف كعب بن الأشرف أم الفضل بنت الحارث التي طلت جسمها بالطيب والزعفران، وتخصبت بالحناء والكتم. فقال (١٩٤):

صَفْرَاءُ رَادِعَةٌ لَوْ تَعَصَّرُ أَنْعَصَرَتْ مِنْ ذِي الْقَوَارِيرِ وَالْحِنَاءِ وَالْكَثْمِ

وكان من وسائل الزينة التطيب واستعمال العطور. فتطيب الرجال بالطيب، ودهنوا شعورهم به، وكانوا يتطيّبون إذا ذهبوا إلى زيارة، أو إلى اجتماعات عامة، كالمواسم والأفراح، وكان عطرهم يختلف عن عطر النساء وطيبهن (١٩٥).

قال أحدهم يمدح أسليم بن الأحنف الأسدي ويصف تضمخه بالطيب فقال (١٩٦):

جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرْقَةٌ وَطَيْبُ الدَّهَانِ رَأْسُهُ فَهُوَ أَنْزَعُ

وكان بعضهم يبتكر الحديد من العطور، بإضافة عطر آخر، أو بإضافة دهن الزئبق إلى العطر كي تفوح رائحته ويسمون ذلك الفتاق. قال الراعي النميري (١٩٧):

لَهَا قَارَةٌ زَفْرَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمِسْكِ فَاتَّقَهُ

وكانت المرأة تحرص على ألا تشيع أسرار خلطة عطرها فتبذل. ومنهن هنـد بنت أسماء كانت إذا دخل عليها أخوها مالك، شم رائحة طيبها فتعجبه، فيطلب أن تعلمه صناعته، فتأبى ذلك لئلا يعلمها جواريه فتنتشر وتبتذل. وكانت تعطيه ما يشاء قائلة: هو لك مني كلما أردته (١٩٨).

(١٩٤) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار

المعارف، ط ٢ (١٩٦٧م) ج ٢، ص ٤٨٨.

(١٩٥) جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦١٥.

(١٩٦) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٩٦.

(١٩٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة فتق.

(١٩٨) الأبيهي: المستطرف، ج ٢، ص ٣١.

وكان العطر من صناعات الأشراف ومتاجرات الملوك، وكان يباع في سوق عدن، ويحمل إلى السند والهند وفارس والروم^(١٩٩). وقد اشتهرت لطائم النعمان التي كانت تحمل الطيب والمسك إلى الأسواق لبيعها فيها^(٢٠٠). كما كان أبو طالب عم الرسول عليه الصلاة والسلام يبيع العطر^(٢٠١). وكانت أسماء بنت مخزبة أم أبي جهل تبيع العطر في مكة لنسائها تأتي به من اليمن. وليس أدل على براعة قريش في صنع الطيب واستخدامه من وصية الفرافصة لابنته نائلة وقد جهزها إلى عثمان بن عفان قائلاً: يا بنية: إنك تقدمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك، فلا تغلبي على خصلتين، الكحل والماء^(٢٠٢).

ولانتشار الطيب بين العرب، فإنهم كانوا يستخدمونه في تأكيد التحالفات بينهم، فقد جعل بنو هاشم وزهرة وتيم طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على العناصر والأخذ بنصر المظلوم من الظالم، فسموا المطيبين وهو المعروف بخلف الفضول^(٢٠٣).

وكان الفرسان إذا ما ذهبوا للحرب أكرمتهم النساء برش العطر عليهم. فقد عطرت حليلة بنت الحارث الغساني، الفرسان بالطيب في اليوم الذي سمي بيوم حليلة^(٢٠٤). وكذلك كانت منشم التي شهر عطرها بالشؤم، حتى صار يضرب به

^(١٩٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٢، الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ط ٢ (١٩٦٠م) ص ٢٦٩.

^(٢٠٠) الشحاب، أحمد: سحر العطور، القاهرة، لجنة البيان العربي (د.ت) ص ١٥.

^(٢٠١) الثعالبي: لطائف المعارف، ص ١٢٧.

^(٢٠٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية (١٩٧٣ م) ج ٤، ص ٧٦.

^(٢٠٣) ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت ودار صادر (١٩٦٥م). ج ١، ص ٤٥٣-٤٥٤.

^(٢٠٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٤٣، جاد المولى، محمد أحمد: أيام العرب في الجاهلية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي (د.ت) ص ٥٤.

المثل، فيقال: «أشام من عطر منشم»^(٢٠٤)، ذلك أنها كانت تطيب الرجال الخارجين إلى الحرب، فكانت لا تطيب أحداً إلا قتل أو جرح، قال زهير بن أبي سلمى يضرب المثل بالتشاؤم من عطر منشم^(٢٠٥):

تَدَارَكْتُمَا عِبْسًا وَذِيَّانَ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمَ عَطَرَ مَنَشِمٍ

ومن حبههم للطيب، كان بعضهم يتمنى لو يشتغل ببيعه، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لو كنت تاجرًا ما اخترت غير المسك، إن فاتني ربحه، لم يفتني ربحه^(٢٠٦).

ولم يكن الطيب من حظ الأحياء وحدهم، فقد كان للأموات منه نصيب. فكان الميت يطيب بالكافور والسدر في الجاهلية، واستمر تطييبه بعد الإسلام. فقد ذكر أن رسول الله ﷺ دخل وابنته زينب تغسل، فقال: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك، إن رأيتن بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور»^(٢٠٧).

وكان استعمال العطور يختلف بين العطر السائل والكثيف، فإذا كان سائلاً كماء الورد، يمسح به الرأس أو الوجه أو البدن. وإذا كان كثيفاً كالزعفران والمسك والغالية والعنبر، فيلطخ به الجسم أو الشعر، ويستعمل كما يستعمل الحناء. وقد يتغلغل هذا الطيب بين طيات الشعر، وفي ذلك يقول عمر بن الإطنابة^(٢٠٨):

يَتَنَاهَيْنَ فِي النَّعِيمِ وَيَضْرِبُونَ مِنْ خِلَالِ الْقُرُونِ مِسْكَاً ذَكِيًّا

^(٢٠٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ١١.

^(٢٠٥) المصدر السابق نفسه.

^(٢٠٦) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٠٩، نقلاً عن الغزالي مطالع البدور، ج ١، ص ٦٢.

^(٢٠٧) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ٥٩٩-٦٠٠.

^(٢٠٨) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٨٤.

وقال أحدهم يذكر انبعاث رائحة المسك من الشعر المرجل^(٢٠٩):
 وَعَالَتْ فُتَاتَ الْمِسْكِ وَحَفَا مُرَجَّلاً عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلَمَاتِ
 ورائحة الطيب تزداد عبثاً من المرأة إذا كثرت حركتها. قال امرؤ القيس^(٢١٠):
 إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكَ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيحٍ مِنَ الْقَطْرِ
 ورائحة المسك لا يقتصر فيحها من الشعر والجسم أثناء الحركة، بل تفوح من
 الأثواب، خصوصاً من الأردن.

وقال امرؤ القيس يصف تضيخ النساء لأردانهن بالطيب^(٢١١):
 مَضْمَخَةُ الْأُرْدَانِ سَهْلٌ حَدِيثُهَا لَطِيفَةٌ طَيِّبُ الْكَشْحِ وَهَنَانَةُ الْخُطَا
 واهتمت المرأة بتطيب بيتها و فراشها بالطيب، قال امرؤ القيس يذكر فيح
 رائحة المسك من البيوت^(٢١٢):

وَبَيْتٌ يَفُوحُ الْمِسْكَ مِنْ حُجْرَاتِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ غَيْرِ مَرُوقٍ
 واعتادت المرأة العربية نثر الطيب على فراشها، قال امرؤ القيس^(٢١٣):
 وَتُضْحِي فَنَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَوْوَمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ
 قال كثير عزة يصف تطيب النساء لفرشهن بالمسك والزعفران^(٢١٤):
 يَبَاشِرُنَ فَارَ الْمِسْكِ فِي كُلِّ مَهْجَعٍ وَيُشْرِقُ جَادِيٌّ بِهِنَّ مُفِيدٌ

^(٢٠٩) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ٢٤. الوحف: الشعر الكثير.

^(٢١٠) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٥. الريا: الرائحة.

^(٢١١) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٣٣٢.

^(٢١٢) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٧١.

^(٢١٣) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٧.

^(٢١٤) كثير عزة: ديوانه، ص ١٩٥.

ولأن استعمال الطيب عادة شائعة، فإن من لا تتطيب يكون ذلك سبة تعير به. فقد عير امرؤ القيس من تركت الطيب، وجعلت رائحتها قبيحة، فقال (٢١٥):

لَطِيفَةُ طَيِّ الكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ إِذَا انْتَقَلَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرُ مِتْفَالٍ
ولسريان عادة استخدام الطيب، فقد جعل له أوعية ذات قيمة لحفظه بها. فقد كان يوضع في حقة خاصة، واشتهرت حقة العطر الحميرية، ذلك لأن أكثر ملوك العرب من حمير فحقتهم يوضع فيها الطيب، قال امرؤ القيس يصفها (٢١٦):

وَرِيحٌ سَنَا فِي حُقَّةِ حَمِيرِيَّةٍ تَخْصُ بِمَفْرُوكٍ مِنَ الْمِسْكِ إِذْفَرًا
وقد يوضع الطيب وخاصة المسك فيما يسمى فارة المسك. قال كثير عزة (٢١٧):

يُغَادِي بِفَارِ الْمِسْكِ طَوْرًا وَتَارَةً تَرَى الرِّيحَ مُرْفَضًا عَلَيْهِ نَثْلَهَا
وقد تتخذ النساء من الخلي أوعية للطيب، يصف علقمة بن عبدة قلادة حبيته الذهبية وفيها مواضع مجوفة محززة تشبه أجسام الجراد، تحشوها بالطيب، فقال (٢١٨):

مُحَالٌ كَأَجْوَاذِ الْجَرَادِ وَلَوْلُوٌّ مِنْ الْقَلْقِيِّ وَالْكَيْسِ الْمَلُوبِّ
وقد يوضع العطر في الخواتم مكان الفص على شكل كرة فيها غلاف. شاع هذا في العصر العباسي خاصة (٢١٩).

(٢١٥) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٣٠.

(٢١٦) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٥٩.

(٢١٧) كثير عزة: ديوانه، ص ٢٦٠.

(٢١٨) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٢٠، نقلًا عن ديوان علقمة بن عبدة، ص ١٩، وانظر الأصبهاني: الأغاني، دار الثقافة، ج ٨، ص ١٩٥، قوله: المُحَالُ: ضرب من الخلي يصاغ مفرقاً كتفقير وسط الجراد. والكييس: حلو يصاغ مجوفاً ثم يحشى طيباً ثم يكبس، والملوب: المعطر بالملاب، وهو نوع من العطر.

(٢١٩) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٢٠.

ولم يمنع الإسلام عادة استخدام الطيب، فقد كان رسول الله ﷺ يتطيب في الحل وقيل الإحرام، روي عن عائشة قولها: «طيبت رسول الله ﷺ بيدي بذريرة»^(٢٢٠) في حجة الوداع للحل والإحرام»^(٢٢١). ويبدو اهتمام رسول الله ﷺ بالطيب، من أنه أمر عند زواج ابنته فاطمة أن يجعل الطيب في جهازها، وأن يكون ثلثا مهرها للطيب^(٢٢٢). وكان الصحابة يتطيّبون على سنة رسول الله ﷺ في استعمال الطيب، حتى كان يصدق فيهم قول كعب بن زهير^(٢٢٣):

الْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزَمَةً أَزَمْتُ وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلَّمَا عَرَقُوا

ونالت مجامر الطيب الكثير من اهتمام العرب، فجدودوا الصناعة، وصنعوا العديد منها من المرمر، والبرونز والذهب والفضة، وكان بعضها مفتوحاً ليس له غطاء، وبعضها الآخر له غطاء ونقش عليه اسم الطيب الذي يحرق به، واسم صاحبه والمعبود والإله الذي اختصت به^(٢٢٤).

ويكون التحجير بمحجرة فيها نار، يوضع عليها شيء من بخور أو مواد أخرى عطرية، تنبعث منها رائحة الطيب، فتملأ المكان، وقد تدخن بها الثياب. قال حميد بن ثور يصف المحجرة:

لَا تَصْطَلِي النَّارُ إِلَّا مُجْمَرًا أَرَجًا قَدْ كُسِرَتْ مِنْ يَلْنَجُوجٍ لَهُ وَقَصَا

وكثرت المباخر في الإسلام، وأصبحت صناعتها تدل على رقي الفن الإسلامي وإبداعه، وما زال الاهتمام بالمباخر حتى عصرنا^(٢٢٥).

^(٢٢٠) الذريرة: عطر يؤتى به من الهند، عبارة عن أخلاط من الطيب، انظر الزبيدي: تاج العروس، مادة ذر.

^(٢٢١) أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث ٢٤٤٦١.

^(٢٢٢) ابن سعد: طبقات ابن سعد، ج ٨، ص ١٣.

^(٢٢٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١ ص ٣٠٤.

^(٢٢٤) جواد علي: المفصل، ج ٨، ص ٧٥؛ الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٧٣.

^(٢٢٥) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٧٢-١٧٣ نقلاً عن ديوان حميد بن ثور، ص ١٠١؛ وابن منظور: اللسان، مادة حمر. والينجوج: العقد. الوقص: كسار العيدان.

الحلي: انتشرت عادة التزين بالحلي بين العربيات، وكان للرجال اهتمام بها أيضاً فقد تحلى ملوك العرب قبل الإسلام بالأقراط والدمالج. وكان النعمان بن المنذر يضع قرطين ودملجين ومسكتين^(٢٢٦)، كما تختموا بالخواتم، وكثيراً ما وضع الرجال الخاتم في الإصبع الخنصر من اليد اليسرى، قال بعض بني عقيل يذكر وضع الخاتم في خنصر اليد اليسرى^(٢٢٧):

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً أصم في نهار القيظ للشمس بادياً
وأركب حماراً بين سرج وفروة وأعز من الخاتم صغرى شمالياً

وكان اهتمام المرأة بالحلي كبيراً لما كانت تشيره من الإعجاب والبهجة بالتحلية، ولأنها تحرك مشاعر الرجل وتلهب خياله بصوتها الموسيقي، كما أنها تؤدي إلى إشراق وجه المرأة. قال الشاعر ركاض يصف إشراق وجه المرأة التي تلبس الحلي^(٢٢٨):

إذا ما لبسن الحلي والوشى أشرفت وجوه ولبات يسلبنا الحلما
وقال المثقب العبيدي^(٢٢٩):

أرين محاسنا وكنن أخرى من الأجياد والبشر المصون
ومن ذهب يلوح على تريب كلوح العاج ليس بيدي غضون

^(٢٢٦) ابن منظور: لسان العرب، مادة مسك.

^(٢٢٧) المصدر السابق، مادة ختم.

^(٢٢٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ٢٣٩. والسيوب: مفرد ما سب وهو حمار تغطي المرأة به رأسها.

لايت المرأة السب: أدارته وطوته.

^(٢٢٩) المفضل الضبي: المفضليات، ٢٨٨-٢٨٩.

ومن أهم قطع الحلبي التي اهتمت بها المرأة:

العقود: وكانت تزين بها رقبته، وكان بعضها يصنع من الذهب ويزين بالدر، والياقوت واللؤلؤ، والزبرجد، والشذر، قال امرؤ القيس يصف الأحجار الكريمة التي تصنع منها العقود^(٢٣٠):

غَرَائِرُ فِي كَنٍّْ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقُوتًا وَشَذْرًا مُفَقَّرًا

وقال النابغة الذبياني يصف جيد حبيته، وقد تزين بعقد ثمين^(٢٣١):

بِالدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ زَيْنَ نَحْرِهَا وَمَفْصَلٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجَدٍ

وقد يكون العقد من لؤلؤ أو ياقوت، ويتوسطه فص كبير من حجر كريم آخر يعرف بواسطة العقد، ويضاف إليه خرزات صغيرة من الياقوت مفقرة مثل فقر الجرادة. هكذا كان العقد الذي زينت به حبيبة النمر بن تولب جيدها، وهو من اللؤلؤ، والزبرجد. وقد فصل بينهما خرز صغير، فأصبح شكله كفقرة الجرادة، فقال^(٢٣٢):

أَنَاةٌ عَلَيْهَا لَوْلُؤٌ وَزَبْرَجَدٌ وَنَظْمٌ كَأَجْوَاذِ الْجَرَادِ مُفْصَلٌ

وذكر المرقش الأصغر تحلي النساء بقلائد من ياقوت، وشذر، وجزع ظفاري، فقال^(٢٣٣):

تَحَلِّينَ يَاقُوتًا وَشَذْرًا وَصِيفَةً وَجَزَعًا ظَفَارِيًّا وَدُرًّا تَوَائِمًا

^(٢٣٠) امرؤ القيس: ديوانه، ص ٥٩.

^(٢٣١) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ٣٣ نقلاً عن ديوان النابغة الذبياني، ص ٣١.

^(٢٣٢) أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ١٩٦.

^(٢٣٣) المفضل الضبي: المفضليات، ج ٢، ص ٤٥.

وقد تضع المرأة العديد من الأطواق في جيدها، حتى يمتلئ صدرها، قال الأعشى يذكر ذلك (٢٣٤):

يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا قَتِيلَةً عَنْ جِيٍّ ————
سَدِّ تَلِيْعٍ تُزِيْنُهُ الْأَطْوَاقُ

وذكر لبيد بن ربيعة وضع المرأة لعقد مضاعف في عنقها، فيه خرزات تفصل بين كل جوهرتين في السلك فقال (٢٣٥):

وَعَالِيْنَ مَضْعُوفًا وَقَرْدًا سُمُوْطُهُ جُمَانٌ وَمُرْجَانٌ يَشُدُّ الْمَفَاصِلَا

واستمرت عادة تزيين العنق بالعقود بعد الإسلام، فكانت المرأة التي لا يتمكن زوجها من إحضار ما تريده من الأطواق تلومه. كما فعلت زوجة كلثوم العتابي فلما سمع لومها، قال (٢٣٦):

تَلُوْمٌ عَلَيَّ تَرَكَ الْغَنَى بَاهِلِيَّةً زَوْي الدَّهْرُ عَنْهَا كُلُّ طَرْفٍ وَتَالِدِ
رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكِسَا مَقْلَبَةً أَجْيَادُهَا بِالْقَلَائِدِ

وتحلت المرأة بالمخنقة التي ترصع بالدر واللؤلؤ. ذكرت هند بنت عتبة في رجزها التزين بالمخنق المرصعة بالدر، فقالت (٢٣٧):

نَحْنُ بَنَاتُ طَبَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ
وَالدَّرُ فِي الْمَخَانِقِ وَالْمِسْكُ فِي الْمَقَارِقِ

الأقراط: اعتادت المرأة العربية تزيين أذنها في شحمتها وأعلاها، فاتخذت الأقراط (٢٣٨) والشنوف، والأحراس من الذهب والفضة، والدر. وكانت المرأة تشد

(٢٣٤) الأعشى: ديوانه، ص ٢٥٩.

(٢٣٥) لبيد بن ربيعة: ديوانه، ص ١١٧.

(٢٣٦) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٢٣٧) الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٢٩٧.

(٢٣٨) أطلق عليها تسميات متعددة، فهي القرط، والخرص والحب، والتومة.

حلقة القرط على أذنها حتى لا تسقط. قال سيار الإباني يصف القرط بأنه يشبه فقر الجراد، أو فقر أمير النحل^(٢٣٩):

كَأَنَّ خَرَقَ قُرْطِهَا الْمُعْقُوبِ عَلَى دَبَاةٍ أَوْ عَلَى يَعْسُوبِ

وكانت العرب تكني عن طول الرقبة بعهد مهوى القرط، قال عمر بن أبي ربيعة يصف زينة المرأة بالأقراط ويذكر مهوى القرط^(٢٤٠):

وَبَاتَتْ تَمُجُّ الْمِسْكَ فِي فِيٍّ غَادَّةٍ بَعِيدَةً مَهْوَى الْقُرْطِ صَامِتَةً الْحِجْلِ

وقد يكون في القرط ذلاذل وعنات تهتر عند حركة العنق، فوصفها المرقش الأرقط في أذن حبيته، فقال^(٢٤١):

يُهَدِّلُنْ فِي الْأَذَانِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ لَهُ رَبَّذٌ يَعِيَا بِهِ كُلُّ وَأَصِفِ

وأشهر ما عرف في التاريخ الجاهلي من حلي الأذن قرط مارية بنت ظالم، وكانت عليه درة تشبه بيض الحمام، لم ير الناس مثله، ولم يعرفوا قيمته، فكانت مضرب الأمثال^(٢٤٢).

وقد تنزين المرأة بأكثر من قرط (خرص) أو قد تملك أكثر من واحد. فقد كانت أم المؤمنين صفية تضع في أذنيها أقراطاً، وهبت أحدها لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ولنساء أخريات^(٢٤٣).

^(٢٣٩) القالي: الأمالي، ج ١، ص ٨٤.

^(٢٤٠) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي نقلاً عن ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ٣٣٥.

^(٢٤١) المفضل الضبي: المفضليات، ج ٢، ص ٣١.

^(٢٤٢) الأبشهي: المستطرف، ج ٢، ص ٣٥.

^(٢٤٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٨، ص ٩١، العلي، زكية عمر: التنزين والحلي في العصر العباسي، بغداد

(١٩٧٦م) ص ١٣٨.

السوار: اعتادت العربيات وضع السوار في معاصمهن. وكان الرجل يضعه أحياناً. قال النابغة يصف وضع المرأة للسوار^(٢٤٤):

وَأَبَدَتْ سِوَارًا عَن وَشُومٍ كَأَنَّهَا بَقِيَّةُ أَلْوَاحٍ عَلَيْهِنَّ مَذْهَبُ

وقد ورد ذكر الأساور في القرآن الكريم في أكثر من مكان، منها قوله تعالى:

﴿حَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(٢٤٥)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(٢٤٦).

الدملج: وكانت المرأة تضع أكثر من سوار أو دملج في يدها، فقد ذكر أن سكينه بنت الحسين كانت تضع دملجين في يدها، أهدت إلى ابن سريح أحدهما وهو من ذهب وزنه أربعون مثقالاً، وخلعت دملجها الآخر، فأعطته إلى عزة المغنية^(٢٤٧).

قال عنزة بن شداد يصف الدملج^(٢٤٨):

وَتَحْتِي مِنْهَا سَاعِدٌ فِيهِ دُمْلَجٌ مُضِيٌّ، وَفَوْقِي آخِرٌ فِيهِ دُمْلَجٌ

الخاتم: اعتادت العربية تزيين أصابعها بالخواتم من المعادن الثمينة، المزينة بحجارة،

كريمة، كالياقوت، والماس، والشنبر، قال ابن بري يذكر الخاتم^(٢٤٩):

يَا هِنْدُ ذَاتِ الْجَوْرَبِ الْمُنْشَقِّ أَخَذْتَ خَيْتَامِي بِغَيْرِ حَقِّ

^(٢٤٤) الحوفي: الغزل في الشعر الجاهلي ص ١١١ نقلاً عن ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٨.

^(٢٤٥) سورة فاطر: آية رقم ٣٣.

^(٢٤٦) سورة الزحرف: آية رقم ٥٣.

^(٢٤٧) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ٥٢ نقلاً عن الأغاني، ج ١٥، ص ١٢٦.

^(٢٤٨) عنزة بن شداد: شرح ديوان عنزة بن شداد قدم له وعلق على حواشيه: سيف الدين الكاتب

وزميله، بيروت، منشورات مكتبة الحياة (د.ت) ص ٢٩.

^(٢٤٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٧٣.

وكانت بعض النساء تتختم بأكثر من خاتم، فقد كانت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، تتختم في الإصبعين اللذين يليان الخنصر^(٢٥٠).

وقد وضع بعضهن الخواتم في أصابع القدمين، فقد روي أنه كان لأم حبيبة زوج الرسول ﷺ خواتيم من فضة، كانت في أصابع رجليها^(٢٥١).

الخلخال: اعتادت العربية تزيين رجليها بالخلخال، وذلك ليكون لمشتيتها صوت موسيقي، وقد وصف الأعشى الخلخال في ساق حبيته، فقال^(٢٥٢):

وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرًا عَلَيْهِمَا إِلَى مُنْتَهَى خِلْخَالِهَا الْمُتَّصِلِ
وقال كثير عزة يصف الخلخال والوشاح^(٢٥٣):

يَجُولُ الْوِشَاحُ بِأَقْرَابِهَا وَتَأْبَى خَلَاخِلُهَا أَنْ تَجُولَا

وكان صوت الخلخال المجلجل فيه إثارة للرجال، وتأثير عليهم، وخاصة عندما تسير المرأة متزينة، وتضرب برجلها الأرض، فيحدث خلخالها صوتاً مغرباً، ولذلك منع الإسلام ضرب الأرض بالرجل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾^(٢٥٤).

الوشاح: تزينت المرأة العربية بالوشاح، وهو نسيج عريض يرصع بالجواهر.

^(٢٥٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٤٣.

^(٢٥١) المصدر السابق، ج ٨، ص ٦٩.

^(٢٥٢) الأعشى: ديوانه، ص ٤٠١.

^(٢٥٣) كثير عزة: ديوانه، ص ٣٩١.

^(٢٥٤) سورة النور: آية رقم ٣١.

وقد تبالغ المرأة فلا تكتفي بلبس وشاح واحد، بل ترتدي وشاحين في آنٍ واحد. وقد وصف عروة بن حزام المرأة التي ترتدي وشاحين، وذكر أنها إذا قامت بدت وكأنها عنانا مهرة^(٢٥٥):

كَأَنَّ وَشَاحِيهَا إِذَا مَا ارْتَدَّتْهُمَا وَقَامَتْ عِنَانًا مُهْرَةً سَلِسَانَ

عادات التجميل:

من عادة المرأة أن تجعل من نفسها كحلاء، مأشورة^(٢٥٦)، فلجاء^(٢٥٧)، لمياء^(٢٥٨) وهي تحب أن توسم بهذه السمات وتطبع عليها. فإذا حرمت بعضه تصنعه وتجميلت فيه بما لا ينبو الطبع عنه، ولا يرد الطرف دونه، ولذلك اهتمت بفنون التجميل لتظهر مفاتنها، فعملت على:

التكحل: اهتم العرب بتجميل العين وذلك بالكحل والتكحل، حتى غدا الكحل عادة شائعة عند العرب قبل الإسلام في شتى أنحاء الجزيرة العربية بين الرجال والنساء. فكان الكحل والإثمد زينة لعيونهم، إضافة إلى أنه علاج لها.

وقال كثير عزة يصف جلاء الكحل للعين، حتى تبدو نضرة^(٢٥٩):

عِيُونًا جَلَّاهَا الْكُحْلُ أَمَّا ضَمِيرُهَا فَعَفٌّ وَأَمَّا طَرْفُهَا فَجَهُولٌ

وقال ليبيد يذكر تكحل الرجال بالإثمد^(٢٦٠):

كَمِيشُ الْإِزَارِ يَكْحَلُ الْعَيْنَ إِثْمَدًا سُرَاهُ وَيُضْحِي مُسْفِرًا غَيْرَ وَاجِمٍ

^(٢٥٥) الخوئي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٣٩٦.

^(٢٥٦) الأشر: تدقيق الأسنان وتحزيرها، وحدة أطرافها.

^(٢٥٧) الفلج: تباعد ما بين ثنايا والرباعيات.

^(٢٥٨) التلمية: السمرة في الشفاة واللثات.

^(٢٥٩) كثير عزة: ديوانه، ص ٣٣١.

^(٢٦٠) ليبيد بن ربيعة: ديوانه، ص ١٩٣.

واشتهرت مكة بصنع الكحل قبل الإسلام، وما تزال مشهورة به، وكان الناس يحملون المكاحل في جيوبهم، ويحتفظون بها في بيوتهم، اهتموا بصناعتها، وزخرفتها لتكون مظهراً من مظاهر الغنى والترف عند إبرازها أمام الآخرين^(٢٦١).

وتغزل الشعراء بالعين الكحيلة، فشبهه علقمة الفحل دموع فتاة تبكي وقد خالط الإثم الأسود دمعها الصافي، فقال^(٢٦٢):

بِعَيْنِي مَهَاةٌ يَخْدُرُ الدَّمْعُ مِنْهُمَا بَرِيمِينَ شَتَّى مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمِدِ

وقال امرؤ القيس يصف المرأة الجميلة الكحيلة^(٢٦٣):

وَخُدُودُهَا مَصْقُولَةٌ وَعَيُونُهَا مَكْحُولَةٌ، وَشَفَاهُهَا رُبْدٌ

ويقرن عنقزة في زينة عبلة بين الخضاب والكحل، فكلاهما من دلائل النعمة والترف فيقول^(٢٦٤):

يَا عَيْلُ كَمْ مِنْ غَمْرَةٍ بَاشَرَتْهَا بِالنَّفْسِ مَا كَادَتْ لَعَمْرُكَ تَنْجَلِي

فِيهَا لَوَامِعٌ لَوْ شَهِدْتُ زَهَاءَهَا لَسَلَوْتُ بَعْدَ تَخَضُّبٍ وَتَكْحُلِ

ولما جاء الإسلام استمر استعمال الكحل بين الرجال والنساء، وقد استعمله رسول الله ﷺ وذكر بعض فوائده. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «عليكم بالإثم فإنه يجلو البصر..»^(٢٦٥) وقد نصح أبو الأسود الدؤلي ابنته باستعمال الكحل، فقال لها: «عليكم بالزينة وأزين الزينة الكحل»^(٢٦٦).

^(٢٦١) جواد علي: المفصل، ج ٨، ص ٣٩٨.

^(٢٦٢) الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، ص ١٩٣ نقلاً عن ديوان علقمة ص ٤١.

^(٢٦٣) امرؤ القيس: ديوانه ص ٢٣٣.

^(٢٦٤) عنقزة بن شداد: شرح ديوان عنقزة، ص ٢٥٥.

^(٢٦٥) الترمذي: سنن الترمذي، باب اللباس، حديث ١٦٧٩.

^(٢٦٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٤، ص ٧٧، وجاء عند الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦٢ أن عبد الله بن جعفر هو الذي أوصى ابنته قائلاً: (عليك بالزينة والطيب، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء).

التلمية: وكما يستعمل الإثمد كحلاً في العين، فإنه يذر على اللثة والشفاه،
ليجعل لونهما داكناً، فيتضح بياض الأسنان ولمعانها. وهذا ما عرف بالتلمية، قال
طرفة بن العبد يصف ذلك^(٢٦٧):

وَتَبَسُّمٌ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مَنُورًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِي
سَقَّتُهُ إِيَّاءَ الشَّمْسِ إِلَّا لثَاتَهُ أَسْفٌ وَلَمْ تَكُدمْ عَلَيْهِ بِإِئْمِدِ

التمص: من عادة المرأة العربية الاهتمام بما يعلو عينيها بتجميل الحواجب وإزالة
الشعر الزائد منها، كما تعمل على إزالة الشعر عن الوجه. وهذا عمل تقوم به امرأة
مختصة تزيل الشعر الزائد تعرف بالنامصة. فالمرأة تريد أن تجعل حاجبيها خطين
منتظمين قال أحدهم يصف اهتمام المرأة بحاجبيها^(٢٦٨):

فَتَتَّهَهُ بِقُـ_____وَامٍ وَيَخْطُطِي حَاجِبِيَّهَـ_____ا

الوشم: اعتادت المرأة العربية وشم وجهها ويديها، أو مناطق أخرى من
جسدها. فكانت الواشمة ترسم على الموضع المراد وشمه بالكحل أو غيره، ثم تضرب
عليه بالإبرة فتغرزها في البشرة حتى ينبجس الدم منها، ويختلط بالكحل أو النور،
فيتخذ الوشم لونه الأخضر أو الأزرق أو الأحمر، وفي شعر لبيد توضيح لعملية الوشم،
فيقول في سياق تشبيهه الديار بوشم الواشمة^(٢٦٩):

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مَتُونَهَا أَقْلَامُهَا
أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةِ أُسْفٍ نُؤُورُهَا كَفَفَا تَعْرِضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا

^(٢٦٧) طرفة بن العبد: ديوانه، ص ٣٤.

^(٢٦٨) القرطبي، يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار

الكتب العلمية (د.ت) ج ٢، ص ٢٣.

^(٢٦٩) لبيد بن ربيعة: ديوانه، ص ١٦٥. والكفف: الدوائر والحلقات، والنور: مادة الوشم.

كما قال بشر بن أبي خازم يصف الوشم بالنؤور^(٢٧٠):

رَمَادٌ بَيْنَ أَضْرَارِ ثَلَاثٍ كَمَا وَشِمُ الرَّوَاهِشِ بِالنُّؤُورِ

وكانت غاية المرأة العربية في الجاهلية من الوشم زيادة جمالها، ولاعتقادها أن له فوائد سحرية، كإبعاد العين الشريرة، ودفع الأذى، وكل ما يمكن أن يتعرض له الإنسان من مكروه. ولم يجز الإسلام استخدام الوشم إلا عند وجود داء. وعلى الرغم من هذا النهي عن الوشم، فإنه بقي معمولاً به. فقد وشمّت عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بالنيلج هلالاً بين عينيها^(٢٧١).

الوشر والتفليج: اعتاد العرب وشر الأسنان وتفليجها، وكانت المرأة العربية أكثر اهتماماً بالوشر والتفليج من الرجل. فبالوشر تحدد المرأة أسنانها وترققها، وبالتفليج تباعد ما بين الثنايا والرابعيات. وتغني الشعراء بالأسنان المؤشرة، قال امرؤ القيس يصف الوشر في أسنان حبيته^(٢٧٢):

وَمَوْشَرٍ عَذْبٍ مَذَاقْتُهُ بَرْدُ الْقِلَالِ بِذَائِبِ النَّحْلِ

وقد نهى الإسلام عن برد الأسنان طلباً لوشرها أو تفليجها، ولعن الواشرة والمستوشرة^(٢٧٣).

المرأة والمشط: استعانت المرأة في تحميلها ببعض الأدوات، كالمرآة والمشط، قال أحد الشعراء يذكر ذلك^(٢٧٤):

^(٢٧٠) بشر بن أبي خازم: ديوانه، ص ٩٥.

^(٢٧١) الأصبهاني: الأغاني، ج ٨، ص ١٩٨.

^(٢٧٢) امرؤ القيس: ديوانه، ص ١٧.

^(٢٧٣) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ٤، ص ٤٨٣٧ البيهقي: سنن البيهقي، ج ١، ص ٣٠.

^(٢٧٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٦١٤ حوادث سنة ١٠٢هـ.

زَعَمَتْ خُدَيْدَةَ أَنِّي مَلَطْتُ لِخُدَيْدَةَ الْمِرْأَةَ وَالْمِشْطُ

السواك: اعتاد العرب نساء ورجالاً استعمال السواك للمحافظة على أسنانهم، وتنظيفها وجعلها بيضاء. وكانوا يستأكون بسواك أغصان بعض الأشجار مثل الأراك، والبشام، والصرد، والعنم، والعرجون، والجريد والإسحل، والزيتون وغيرها^(٢٧٥). وأفضلها الأراك. قال ابن الكلبي كانت في العرب عشر خصال لم تكن في أمة من الأمم، خمس منها في الرأس، وخمس منها في الجسد. فأما التي في الرأس، فالفرق، والسواك، والمضمضة، والاستنثار، وقص الشارب وأما التي في الجسد، فتقليم الأظفار، وشف الإبط، وحلق العانة، والحتان، والاستنجاء^(٢٧٦). وقال سويد بن أبي كاهل ذاكراً فم حبيته وقد صقلت أسنانها بسواك من شجر الأراك فبدت ناصعة^(٢٧٧):

حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيَّتًا وَأَضْحًا كَشُعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعُ
صَقَلْتَهُ بِقَضِيبِ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعُ
أَيُّضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ طَيِّبِ الرَّيِّقِ إِذَا الرَّيِّقُ خَدَعُ

وقال سراقه البارقي يتحدث عن سواك الإسحل الذي يجعل الأسنان براقية

صافية، وتصبح الابتسامة جميلة^(٢٧٨):

أَيَّامَ تَبَسُّمٍ عَنِ نَقِيٍّ لَوْنُهُ صَافٍ يُزِينُهُ سِوَاكُ الْإِسْحَلِ

^(٢٧٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٤.

^(٢٧٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٤٦.

^(٢٧٧) المصدر السابق نفسه.

^(٢٧٨) سراقه البارقي: ديوانه، ص ٥٨.

ووصف سلامة بن جندل الأسنان وقد جلاها السواك، وذلك حين وصف مغنية جميلة عفيفة، وهي تجري السواك على أسنان بيض مفلجة، فقال^(٢٧٩):

وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ بِيضَاءُ نَاعِمَةً مِثْلُ الْمَهَاءِ مِنَ الْحُورِ الْخِرَاعِيْبِ
تُجْرِي السَّوَاكَ عَلَى غُرِّ مَفْلَجَةٍ لَمْ يُغْرِهَا دَنْسٌ تَحْتَ الْجَلَائِبِ

وقد حث الإسلام على استعمال السواك لتطهير الفم وتطيبه، وجعله مستحباً عند الوضوء وقبل الصلاة. وعند القيام من النوم. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يرقد من ليل ولا نهار، ويستيقظ إلا يتسوك قبل أن يتوضأ. وكان ﷺ يقول: «السواك مطهرة للضم مرصاة للرب»^(٢٨٠).

وهكذا يبدو من استعراض عادات اللباس والزينة وآدابهما، أن العرب اهتموا باللباس والزينة وآدابهما، وكانت ثيابهم مقطعات وغير مقطعات. وكان لهم اهتمام بلبس الحرير حتى جاء الإسلام فحرمه على الرجال، وأحله للنساء. وكانوا يتخذون زينتهم عند زيارة كبار القوم. ومن تتبع النصوص في زينة المرأة ولباسها، تبدو المرأة محتشمة تغطي شعرها ولا تكشفه إلا في حالات نادرة تعبيراً عن الحزن، أو خوفاً من الأسر.

وكذلك فقد انتشرت عادات الزينة بين الرجال والنساء، فلبس الرجال بعض الحلبي، وبالغت المرأة في لبس المجوهرات في عنقها، وصدرها، ومعصمها، وإصبعها، وقدمها، وبلغ الاهتمام بالشعر أقصاه من قبل الرجال والنساء، وأبدى العرب اهتماماً بالغاً بالعطور صنفاً واستخدماً.

^(٢٧٩) المفضل الضبي: المفضليات، ص ١٢٠.

^(٢٨٠) ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد بن حنبل، القاهرة، طبعة الحلبي (١٣١٣هـ) ج ١، ص ٢٩٧.

عادات الولادة والختان والوفاة:

جبل العرب على حب الأولاد. والاستكثار منهم، ربما لأن طبيعة الحياة في الجزيرة العربية تعتمد على العصبية والحروب. وفي كثرة العدد عز ومنعة وفي قلته ضعف واستهانة. فالأسرة التي يكثر بها الأبناء وخاصة الذكور منهم، تكون منيعة الجانب عزيزة، ذلك لأنهم يزيدون في رصيد العائلة المادي، وينخرطون في العمل، ويساعدون أسرهم، وهم لها في النوائب. وكان العرب يعيرون الرجل قليل الأولاد. فقد عيروا عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ عندما أراد حفر بئر زمزم، ولم يكن له من الولد إلا الحارث، فنازعتة قريش على الحفر، وقال له عدي بن نوفل: يا عبد المطلب، أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك^(٢٨١).

كما عير أبو جهل رسول الله ﷺ بأنه أبتز، وذلك في معرض الفخر والتهديد، واستهزاء به قائلاً: يا محمد بمن تهددني، وإني أكثر أهل هذا الوادي نادياً !! لأملأن عليك هذا الوادي خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً^(٢٨٢) فنزلت سورة الكوثر.

وفخر العرب بكثرة الأبناء، وأفراد القبيلة، قال عمرو بن كلثوم يفخر بكثرة عدد أبناء قومه^(٢٨٣):

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمَلُوهُ سَفِينَا

وفخر أنيف بن حكم النبهاني بكثرة عيال بني ناتق، تلك الكثرة التي منحتهم القوة، وجعلتهم يأبون الضيم، فقال^(٢٨٤):

أَبِي لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

^(٢٨١) ابن الأثير: النهاية، ج ٣، ص ٤٢٢.

^(٢٨٢) الفاكهي: أخبار مكة، ج ٣، ص ١٠٤.

^(٢٨٣) ابن رشيقي: العمدة، ج ١، ص ٣٧.

^(٢٨٤) المرزوقي: شرح الحماسة، ج ١، ص ٧٧. والناتق: الكثيرة الأولاد.

ويفخر ليبد بن ربيعة على مسمع من الملك النعمان بن المنذر، بجدهته أم البنين ابنة عمرو بن عامر، لأنها أنجبت العديد من الأبناء الذين اشتهروا بالأخلاق الحميدة، فقال^(٢٨٥):

نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرْبَعَةِ
وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةَ

وتفضيل العرب للبنين على البنات يظهر في قصة أعرابي اسمه أبو حمزة، أراد الزواج ليكون له أبناء ذكور، فقال: زوجوني امرأة أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يجري الرهان، والنزع عن القوس حتى يصيب الحدق، ورواية الشعر حتى يفحم الفحول، فزوجوه امرأة فولدت له ابنة، فتضايق، ثم ولدت له أخرى فغضب، ولما ولدت له الثالثة هجر فراشها، وتركها وذهب إلى جاريتها، فقالت فيه^(٢٨٦):

مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا يَطَّلُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضَبًا أَنْ أَلَّا نَلِدَ الْبَنِينَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا يُعْطِينَا

ودعا الاهتمام بالأبناء وكثرة الإنجاب، إلى الاهتمام بالمصاهرة بين الأسر والقبائل. وإلى أن تكون للزوجة مكانة كبيرة في الأسرة، وتزداد مكانتها إذا ما ولدت وتوثقت بها العرى^(٢٨٧) خاصة عندما تلد ذكورا^(٢٨٨). ولا تعد المرأة منجبة إلا إذا ولدت ثلاثة

^(٢٨٥) ليبد بن ربيعة: ديوان ليبد، ص ٩٣، المرتضى: أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٣٧. المدعدة: المسأى. الخيضة: غبار الحرب.

^(٢٨٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٦٣.

^(٢٨٧) المصدر السابق نفسه. وانظر: الحوفي: المرأة، ص ٧٧.

^(٢٨٨) ابن حبيب: المحرر، ص ٤٥٥-٤٦٣.

بنين فأكثر^(٢٨٩). وضربوا المثل بالمرأة المنجبة، فقالوا: أنجب من ماوية، وأنجب من فاطمة بنت الخرشب، وأنجب من أم البنين، وأنجب من عاتكة، وكل هؤلاء منجبات للذكور.

وقد بلغ من اهتمام العرب بالمرأة المنجبة أن قيس بن زهير العبسي، لقب فاطمة بنت الخرشب الجنية، لأنها أنجبت كثرة من الأبناء الأقوياء، الذين كانوا كالأسود، ورأى أنه لا يمكن لإنسية أن تنجب مثلهم فقال^(٢٩٠):

لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يَضِيعُ
بَنُو جَيْبَةٍ وَلَدَتْ سُيُوفًا صَوَارِمَ كُلِّهَا ذَكَرَ صَنِيعُ

وقد أكد رسول الله ﷺ فضل الولد، ودعا للزواج بالولود، فقد ورد قوله ﷺ: «تزوجوا الولود الولود، فإني مكاتر بكم الأمم»^(٢٩١).

ويهتم العربي بنسب أبنائه قبل الولادة بحسن اختيار الزوجة. وكان الأبناء يفخرون بأمهاتهم وعراقه نسبهن، لأنهم يرون أن الحرب والكره لا يكشفهما إلا ابن الحرة الشجاع، لأنه بريء من شوائب الهجنة. قال القتال الكلابي مفتخراً بنسب أمه عمرة بنت حرقة من ربيعة^(٢٩٢):

لَقَدْ وَلَدْتَنِي حُرَّةٌ رَبِيعِيَّةٌ مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْضُرَنَّ فِي الْقَيْظِ ذَبْدَبَا

^(٢٨٩) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله: جهرة الأمثال على هامش الأمثال للميداني، القاهرة -

المطبعة الخيرية (١٣١٠هـ) ص ٢٤٢؛ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، القاهرة -

المطبعة البهية المصرية (١٣٤٢هـ) ج ٢، ص ٢٧٦.

^(٢٩٠) المرزوقي: شرح الحماسة، ج ١، ص ٤٦٩، الحوفي: المرأة، ص ٨٧.

^(٢٩١) الشيباني، ابن الدبيع الشيباني: تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، مصر، المطبعة

الجمالية (١٣٣١هـ) ج ٣، ص ٣٤١؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ١٥٥.

^(٢٩٢) الأصبهاني: الأغاني، ج ٢٠، ص ١٥٩. ذبذبا، مورد، والمراد أنها مصنوعة.

وكان أبناء الإمام يعيرون بنسب أمهم، وأبناء الأم الحرة يفخرون بجزية أمهم وشرف نسبها، يشيد به العلية ومن هؤلاء الشنفرى الذي يفخر بأن أمه ابنة أحرار فيقول (٢٩٣):

أَنَا ابْنُ خِيَارِ الْحِجْرِ بَيْتًا وَمَنْصِبًا وَأُمِّي ابْنَةُ الْأَحْرَارِ لَوْ تَعْرِفِينَهَا

وكان المقياس الذي يعتمده العرب في حسن نسب الزوجة، إخوتها. فإذا كان أخو الأم سيداً، شجاعاً جواداً، فصيحاً، كان الأمل قوياً في أن ينزع إليه ابن أخته، فالولد لا بد أن يشبه خاله. قال الراجز في ولد له سماه عصاماً، وقد غلب خاله على شكله وخلقه (٢٩٤):

وَاللَّهِ مَا أَشْبَهَنِي عَصَامُ لَا خَلْقَ مِنْهُ وَلَا قَوَامُ
نَمْتُ وَعِرْقُ الْخَالِ لَا يَنَامُ

وامتن أبو الأسود الدؤلي على بنيه بقوله: «أحسنت إليكم كباراً وصغاراً، وقبل أن تولدوا» قالوا: كيف أحسنت لنا قبل أن نولد؟ قال: «اخترت لكم من النساء من لا تسبون بهن» (٢٩٥).

وأنشد الرياشي مذكراً أبناءه بإحسانه إليهم حين تخير لهم الأم التي يفخرون بنسبها وعراقته، فقال (٢٩٦):

فَأَوْلَ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ تَحْيِيرِي لِمَا جِدَّةِ الْأَعْرَاقِ بَادِ عَفَافُهَا

(٢٩٣) الأصبهاني: الأغاني، ج ٢١، ص ٨٨.

(٢٩٤) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ١٣١.

(٢٩٥) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢٩٦) الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٢١.

ثم جاء الإسلام فعزز هذه الفكرة. قال رسول الله ﷺ: «تخبروا لنطفكم فإن العرق دساس» وقال أيضاً: «إياكم وخضراء الدمن»، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء»^(٢٩٧).

غلب على العرب الرغبة في الزواج من المرأة الغريبة، ويرون أن الولد من القريبة يجيء ضاويًا نحيفًا، وفي أمثالهم: «النزاع لا القرائب» كما قالوا: «اغربوا لا تضوا: أي انكحوا في الغرائب، فإن القرائب يضوين البنين»^(٢٩٨). قال الشاعر يؤكد على أن الزواج من القريبة يضوي النسل^(٢٩٩):

فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيْبَةٍ فَيَضْوِي وَقَدْ يَضْوِي رَدِيْدُ الْقَرَائِبِ
تَعْلَمُ مِنْ أَعْمَامِهِ الْبَأْسَ وَالنَّدَى وَوَرِثَهُ الْأَخْوَالَ حُسْنَ التَّجَارِبِ
هُوَ ابْنُ غَرِيْبَاتِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ذَوُو الشَّأْنِ أَبْنَاءُ النِّسَاءِ الْغَرَائِبِ

وقال آخر يذكر سبب عدم زواجه من ابنة عمه وهي حبيبة على قلبه^(٣٠٠):

تَجَاوَزْتُ بِنْتَ الْعَمِّ وَهِيَ حَبِيْبَةٌ مَخَافَةَ أَنْ يَضْوِي عَلَيَّ سَلِيْبِي

وقد أمر رسول الله ﷺ بالزواج من غريبات مخافة ضعف النسل، وخطاب عمر بن الخطاب بني السائب وقد وجدهم ضوا، فقال لهم: يا بني السائب، إنكم قد أضويتم فأنكحوا في النزاع^(٣٠١). كما نظر إلى قوم من قريش صغار الأجسام، فقال

^(٢٩٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١١٠؛ الهندي: علاء الدين علي المتقي: كنز العمال في سنن الأ أقوال والأفعال، حيدر آباد، دائرة المعارف (١٣١٣هـ) ج ٨، ص ٢٨٨.

^(٢٩٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١١٠.

^(٢٩٩) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٠.

^(٣٠٠) المصدر السابق نفسه.

^(٣٠١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ٧، ص ١١٠.

لهم: ما لكم صغرتم؟ قالوا: قرب أمهاتنا من آبائنا، فقال: صدقتم، اغتربوا فتزوجوا في البعداء فأنجبوا^(٣٠٢).

على أن بعض العرب آثروا الزواج من بنات العم، لأنهم رأوا، حسب زعمهم - أن بنات العم أصبر على ريب الزمان، ونبوة الخلق، ومن هؤلاء بنو عبس، وقد سئلوا: أي النساء وجدتم أصبر؟ قالوا: بنات العم^(٣٠٣).

ولكثرة تمجيد العرب للأمومة والأُم المنجبة، ولعلو قدرها، نُسب بعضهم إلى أمهاتهم. فقد نسب المناذرة إلى أمهم «ماء السماء». وانتسب الغساسنة إلى أمهم «مارية بنت ظالم الكندي». قال حسان بن ثابت في مدح جيلة بن الأيهم الغساني^(٣٠٤):

لِللّهِ دَرٌ عَصَابَةٌ نَادَمَتْهُمْ يَوْمًا بَجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ

وتبدأ العناية بالولد قبل الحمل، لأن المرأة تريد ألا تحمل إلا على طهر. ذلك لأن العرب يرون أن الحمل يجب ألا يكون إلا في أعقاب الحيض مباشرة، أو على استقباله، لأنهم يعرفون من تجاربهم أن الولد الذي يتم الحمل به في غير هذه الفترات ينشأ سقيماً. ووصف الشاعر مهجوه بالضعف، لأن أمه حملت به وهي حائض، فقال^(٣٠٥):

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيْتِنِ لِلضِّيَافَةِ أَرْشَمَا

^(٣٠٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٢٤، ج ٧، ص ١١٠؛ الهندي: كنز العمال، ج ٨، ص ٢٨٨.

^(٣٠٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٩٧.

^(٣٠٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ١٠؛ الأصبهاني: الأغاني، ج ١٤، ص ٣.

^(٣٠٥) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ١١٣. اليتيم: الجنين الذي يولد منكوساً.

أما إذا حدث الحمل حين تكون المرأة على طهر، وليس بها بقية من حيض، فإن الولد ينشأ قوياً، وقد اعتقدوا أن النطفة إذا وقعت في الرحم أول الهلال، خرج الولد قوياً، وإذا كان في المحاق خرج ضعيفاً ضامراً. قال الشاعر في وصف مولود اجتمعت له شرائط السلامة والصحة (٣٠٦):

لَقَحَتْ فِي الْهِلَالِ عَنْ قَبْلِ الطُّهُمِ — وَوَقَدَ لَاحَ لِلصَّبَاحِ بِشِيرُ
وقال أبو كبير الهذلي يصف حمل زوجته بالشاعر تأبط شراً، فذكر أنها حملت به على طهر، فجاءت به قوياً (٣٠٧):

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمِ جَلَدٍ مِنَ الْفَتِيَانِ غَيْرِ مُثْقَلِ
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ
وَمُبْرَأً مِنْ كُلِّ غُبْرِ حَيْضَةٍ وَرِضَاعِ مُغِيلَةٍ وَدَاءِ مُعْضَلِ
كما قالت هالة بنت أهيب أم حمزة بن عبد المطلب، تصف حملها ووضعها: «والله ما حملته وضعاً» (٣٠٨).

وكان العرب يرغبون في أن تتم المرأة حملها، ويلقبونها امرأة متمم (٣٠٩)، ويسرون أنها كلما تأخرت في ولادتها، كان الولد أقوى وأصلب، ويسمون مثل هذه المرأة التي تتأخر في ولادتها المنضحة، والولد متمم أو تميم (٣١٠). وقد لا تكمل المرأة فترة حملها، فتلد لسته أشهر أو سبعة، فيقال أسبعت، ويقال للولد خديج وخديجة.

(٣٠٦) الجاحظ: البخلاء، ج ٢، ص ٢٤.

(٣٠٧) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٤٨٣-٤٨٤، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢٢٤؛ المرزوقي: شرح الحماسة، ج ١، ص ٨٧. وحوش الفؤاد: أي أذكى الفؤاد الهوجل: الثقل الكسلان. مغيل: لم تر عليه دم حيض في حملها.

(٣٠٨) عفيفي: المرأة العربية، ج ١، ص ٧٣.

(٣٠٩) البخاري: صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢١٦.

(٣١٠) ابن سيده: المخصص، ج ١، ص ٢١.

وتعد المرأة قبل ولادتها كل ما تحتاج إليه من أجل استقبال المولود، والعادة أن تستعين في ولادتها بقبالة، وقد تفرض الظروف عليها ألا تستعين بأحد، فتتم ولادة نفسها بنفسها، ويقال للولد في هذه الحالة سرجاً^(٣١١). ويهتم الأهل والأقارب بصحة المرأة الوالدة، فيعدون لها طعاماً خاصاً، مكوناً من الحبوب والشحم، ويطعمونها الير والحبوب والتمر التي تطبخ مع الحلبة، ويعرف هذا الطعام بالخرسة أو الخوية^(٣١٢)، ويقال إن امرأة ولدت وليس عندها قابلة، ولا امرأة تصنع لها شيئاً فقامت بنفسها تصنع خرسها وتحسوها، وتقول: يا نفس نخسي، إذ لا مخرس لك^(٣١٣).

ويرغب الآباء والأهل أن يشبه الولد أباه، ويرون أن المرأة التي تحمل وهي غاضبة من زوجها، تلد ولداً شبه أبيه، ويكون محموداً مرضياً. ويقولون في ذلك: «إذا أردت أن تنجب المرأة فأغضبها عند الجماع، لأنها تكون في هذه الحالة مبغضة للزوج، فيسبقها بمائه فيخرج الولد شبه أبيه، ويعرف مثل هذا الولد بالفارك»^(٣١٤) قال أحدهم يذكر ذلك^(٣١٥):

تَسَنَّمَهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّداً وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرَّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وقال أبو كبير الهذلي يمدح بحمل المرأة كرهاً^(٣١٦):

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزُودَةٌ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحَلَّلِ

^(٣١١) ابن بكار: جمهرة، ج ١، ص ٣٥٣.

^(٣١٢) انظر فيما سبق.

^(٣١٣) أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص ١٨٧-١٨٨.

^(٣١٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١١٠؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٢.

^(٣١٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ٨٥؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٢.

^(٣١٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١١٠-١١١، وابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦٧٥.

وإذا ولد لأحدهم ولد بعيد الشبه به غضب، ومما يذكر أن الحارث بن عباد تزوج امرأة من بني عمه، فخرج في بعض أسفاره، ثم قدم وقد ولدت امرأته، وكان خلفها حاملاً، فنظر إلى ابنه فإذا هو أحمر، فغضب وخرج ولم يأتها أياماً. ولما دخل عليها قامت إليه كعادة النساء، فصاح بها واتتهرها، ثم أنشأ يقول:

لَا تَمْشِطِي رَأْسِي وَلَا تَفْلِينِي وَأَقْتَرِبِي هَلْمَ أَخْبِرِينِي
مَا بَالُهُ أَحْمَرَ كَالهَجِينِ خَالَفَ أَلْوَانَ بَنِي الْجُونِ

فغضبت من سؤاله وشكه في أخلاقها، وقالت له (٣١٧):

إِنَّ لَهُ مِنْ قَبْلِي أَجْدَادًا بِيضُ الْوُجُوهِ كَرَّمَا أَنْجَادًا
مَا ضَرَّهُمْ يَوْمَ لَقُوا شِدَادًا وَكَسَرُوا فِي صَدْرِهِ الْأَعْوَادًا
أَلَّا يَكُونَ لَوْثُهُمْ سَوَادًا

وكانوا يرون أن الولد الشبيه بوالده يكون ماجداً، قال علي بن أبي العباس

الرومي (٣١٨):

فَتَأْمَلِ الْأَخْوَيْنِ مَنْ أَدْنَاهُمَا شَبَهَا بِوَالِدِهِ فَذَلِكَ الْمَاجِدُ
أَيْنَ الْخُدُودِ مِنَ الْعُيُونِ نَفَاسَةٌ وَرِيَّاسَةٌ لَوْلَا الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ

ويبدأ الاهتمام بالمولود عند تسميته، ويشترك في ذلك الأبوان، وقد يشاركهما أفراد الأسرة، فإن كان المولود ذكراً تخير له من الأسماء كل صلب شديد، لينمى به حسه، وتبنت عليه شجاعته. فمن أسمائهم صخر، وحرب، وحنظلة، وعلقمة، وأسد، وذئب وأشباهاها مما لا يشعر بوهي عند النداء، ولا اثناء عند الأعداء (٣١٩).

(٣١٧) المرزباني: أشعار النساء، ص ١٧١-١٧٢. القالي، ج ١، ص ٣٥ مع بعض الاختلاف.

(٣١٨) القالي: الأمالي، ج ١، ص ٢٦٨.

(٣١٩) عفيفي: المرأة العربية ص ٧١. نقلاً عن خزانة الأدب، ج ٣، ص ٥٢٢.

ومن طريف أمر التسمية وغريب أثرها أن أسماء بنت دريم كانت في خباء لها، وكان بنوها يرعون بمنحاة عنها. فنظر إليها وائل بن قاسط وهو ضيفها نظرة مريية، فقالت لعلك أسررت في نفسك مني شيئاً، فقال: أجل، قالت: لئن لم تنته لأستعرضن عليك أسبعي، فقال: والله ما أرى بالوادي أحداً، قالت: لو دعوت سباعي لمعتني منك، وأعاتني عليك، فقال: أوتفهم السباع عنك !! قالت: نعم. ثم رفعت صوتها يا كلب، يا ذئب، يا فهد، يادب، ياسرحان، يا أسد، فجاء بنوها يتعاوون ويقولون، ماخبرك يا أماء؟ قالت: ضيفكم هذا أحسنوا قراه: ذلك أنها لم تشأ أن تفضح نفسها عند بنيتها، فذبحوا له وأطعموه، فذهب وهو كالمأخوذ عجباً مما رأى. وسمي ذلك الوادي وادي السباع، فهو اسمه منذ ذلك اليوم (٣٢٠).

أما البنات فيختار لهن اسم خفيف على السمع بديع الموقع من الأسماء، فمن أسمائهن حبي، وحببية، والنضيرة، وسعدى، ومية، وأميمة ونظائرها (٣٢١).

ويبدو أن عادة تسمية الأبناء التي كانت في الجاهلية لم تعد عامة بعد الإسلام، فقد أخذوا يسمون أبناءهم بأسماء تخف على اللسان، قال نصر بن سيار ينصح الآباء عند تسمية الأبناء: «لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك» (٣٢٢).

وجرى كثير من العرب بعد الإسلام على تسمية أبنائهم بما عبد وحمد كعبد الله وعبد الرحمن و..، ومحمد وأحمد ومحمود وما شابه، وتخبروا لأولادهم من أسماء مشاهير الصحابة تيمناً بهم كعمر، وخالد وسعد وعلي.

ومن العادات الدارجة أن تذبح بعد الولادة شاة يلطخ بدمها رأس المولود، وغالباً ما يكون في اليوم السابع، واستمرت عادة الذبح بعد الإسلام، وعرفت بالعقيقة،

(٣٢٠) عفيفي: المرأة العربية، ص ٧١. نقلاً عن خزنة الأدب، ح ٣، ص ٥٢٢.

(٣٢١) عفيفي: المرأة العربية، ص ٧٢.

(٣٢٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٤٦.

وقد تكون في اليوم السابع أو في غيره، وهي ذبيحتان للولد وواحدة للبت. وبعد ذبح العقيقة يخلق شعر رأس المولود^(٣٢٣).

واعتاد العرب في الجاهلية أن يعرضوا صبيانهم على العرافين ليستطلعوا مستقبل المولود، مقابل مبلغ من المال يدفع للعراف. وكانوا يفعلون ذلك خوفاً على الطفل من الشرور، ومعالجته قبل وقوع المكروه. كما كانوا يعلقون على أبنائهم التمام لإبعاد الشر. وقد ذكر لبيد بن ربيعة أن أبويه وضعا له التمام، فقال^(٣٢٤):

وَأَبِشُّ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أَبْوَةً كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَامَا

وخوفاً على المولود من عين الحاسد، فإن الأم إذا شعرت بأن الطفل أصيب أو سيصاب بالنظرة والخطفة، عمدت إلى تعليق تميمة مؤلفة من سن ثعلب وسن هرة. كما كانت تأخذ من صمغ نبات السمرة فتنقط منه بين عينيها، وتخط منه على وجه المولود^(٣٢٥)، اعتقاداً منها أن ذلك سيحميه، وكانت تقول إذا سألتها سائل عما وضعته له^(٣٢٦):

كَانَتْ عَلَيْهِ نَفْرَةٌ تَعَالِبٌ وَهَرَّةٌ
وَالْحَيْضُ حَيْضُ السُّمْرَةِ

وقد حرم الإسلام هذه العادة، ورسخ في عقول المسلمين أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن هذه التمام لا تضر ولا تنفع^(٣٢٧).

^(٣٢٣) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٧، ص ٢٠١.

^(٣٢٤) لبيد بن ربيعة: ديوانه عه، ص ١٩٩.

^(٣٢٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٢٥.

^(٣٢٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢٤؛ الألويسي بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٢٥. والسمرة من شجر الطلح يسيل منها سائل يشبه لونه لون دم الغزال.

^(٣٢٧) مسلم: الجامع الصحيح، ج ٧، ص ٣٧.

وجرت العادة أن ترضع الأم أبناءها، فإذا لم يكن حليبها كافياً، لجأت إلى إحدى قريباتها المرضعات ليساعدها في إرضاعه. أما ذوو اليسار منهم فقد كانوا يعمدون إلى إرسال أبنائهم إلى المراضع في البوادي بعد أسبوع من الولادة أو أكثر. وسبب ذلك الرغبة في أن ينشأ الطفل في منطقة هواؤها نقي، ليعتاد خشونة العيش، وليكتسب الفصاحة من أهلها، ولتعلم الفروسية والشجاعة. وتفاوت مدة بقاء المولود في البادية من سنتين إلى أربع سنوات وقد تصل إلى عشرة، وذلك إذا أراد الأهل تعليم الولد ركوب الخيل، وغالباً ما كان المسترضعون من الذكور، وقل إلحاق البنات بالمراضع^(٣٢٨).

والرضاع الطبيعي له مدة محدودة لا تتجاوز السنتين لأنهم كانوا يعتقدون بصعوبة فطم الكبير وكانوا يقولون: ما أشد فطام الكبير. قال مالك بن دينار يوضح صعوبة ترويض الكبير^(٣٢٩):

وَتَرَوُّضُ عَرَسِكَ بَعْدَ مَا هَرَمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَهْرِمِ

أدرك العرب بفطرتهم أن لبن الحبلئ يضرب بالرضيع، ذلك لأن لبنها يأخذ في الجفاف، ولا يعود مغدياً للطفل كعده الأول، لذلك فإنهم عدوا إرضاع الحبلئ لولدها عيباً.

وعندما جاء الإسلام أكد أهمية إرضاع الأم لطفلها حولين كاملين، لا فرق في ذلك بين المطلقة أو غير المطلقة، فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾^(٣٣٠) وجعل للمرأة المطلقة التي ترضع أبناءها أجراً على الوالد،

^(٣٢٨) الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٣٢.

^(٣٢٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ٥٢.

^(٣٣٠) سورة البقرة: آية رقم ٢٣٣.

فقال: ﴿فَإِنَّ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فِئْتَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(٣٣١). كما أباح الإسلام اتخاذ المراضع. وإذا أتم الولد الرضاع، تبدأ مرحلة الفطام حيث تتم تدريجياً، فيمنع الطفل، ويرجع، وتزداد فترة المنع مع تنفير الولد من الثدي حتى يتم فطامه، ويدرب في هذه الفترة على أن يتناول مع حليب الأم طعاماً يسمى الريك، وهو عبارة عن سمن وتمر يمرسان بنخب. وتبدأ تربية الأم لطفلها، فلا تتركه يسمع شيئاً من دنيء الألفاظ، بل تردد له في أثناء إرضاعه، وأثناء مناغاته ألفاظ الشرف والسؤدد، وتلقنه أبيات الجمد والكرم، وكذلك فإنها توصي المرضعات في البادية بذلك. وهذه ضباعة بنت عامر تغني لابنها المغيرة بن سلمة وهي ترقصه، ذاكرة سيادة آبائها، وكرمهم وعزهم، وتأمل أن يكون ابنها مثلهم، فتقول^(٣٣٢):

نَمَابِهِ إِلَى الدَّرَى هِشَامُ قَرِيمٌ وَأَبَاءٌ لَهُ كِرَامُ
جَحَاحِجٌ خَضَارِمٌ عِظَامُ مِنْ آلٍ مَخْزُومٍ هُمْ الْأَعْلَامُ

أما أم الفضل الحارثية، فكانت ترقص ابنها عبد الله بن العباس، وتذكره بسيادة بني فهر وغيرهم، فتقول^(٣٣٣):

تَكَلَّمْتُ نَفْسِي وَتَكَلَّمْتُ بِكِرِي إِنْ لَمْ يَسُدْ فَهَرًا وَغَيْرَ فَهْرِ
بِالْحَسَبِ الْعِدِّ وَبِذَلِّ الْوَقْرِ حَتَّى يُوَارَى فِي ضَرِيحِ الْقَبْرِ

وقد تستعين الأم في تربية أبنائها بالحاضنة لتساعدتها في مراقبتهم أثناء اللعب مع أقرانهم، وقد تحملهم وتطعمهم تحت مراقبة أمهم وإشرافها وإذا كان الطفل يتيماً فإن

^(٣٣١) سورة الطلاق: آية رقم ٦.

^(٣٣٢) القالي الأمالي، ج ٢، ص ١١٧. الجحاحج: الأسياد المسارعين إلى المكارم. الخضارم: الأسياد الكرماء الكثيري العطية شبه البحر.

^(٣٣٣) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ١١٧؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ١١٨، نقلاً عن السيرة الحلبية،

ج ١، ص ١٤.

الحاضنة تشرف عليه بشكل تام^(٣٣٤). وتحاول الأم أن ينام طفلها هادئاً، فلا تدعه ينام وهو غضبان باكياً، كما لا تدعه ينام وهو جائع، بل تطعمه لينام وهو شعبان، لئلا يصاب بضرر إن نام وهو غاضب أو جائع^(٣٣٥).

ولاهتمام الأم العربية بتربية أبنائها وصحتهم النفسية، فإنها ترفض الزواج إذا نكبت يوماً بوفاة زوجها، حتى وإن كانت في عسرة أو لا تزال شابة، فأم إثال آمت، وكانت أجمل نساء اليمامة، فخطبها أشرافها، إلا أنها ردتهم قائلة: إنها لا تؤثر أحداً على ابنها ولا ترضي زوجها قد يشغلها عنه، وإن كانت في شطف من العيش، وإنها ستحافظ على كرامة ابنها بين الناس، لأن زواجها يطامن من عزته، ويجزنه، ويؤذيه، وأنشدت تقول^(٣٣٦):

لَعْمَرِي إِثَالٌ لَا أَفْدِي بِعَيْنِهِ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَعَاشِ جَفَاءُ
إِذَا اسْتَجَمَعَتْ أُمُّ الْفَتَى غَضَّ طَرْفَهُ وَشَاعَرَهُ دُونَ الدُّنْيَارِ بَلَاءُ

ورفضت أم هانئ بنت أبي طالب الزواج من رسول الله ﷺ بعد موت زوجها إشفاقاً على أولادها وراحتهم وقالت: أنا مؤتممة، فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامي، وإن قمت بأمرهم، قصرت عن حقه. فقال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركن الإبل، صوايح نساء قريش، أحناها على ولد في صغره، وأرعاهما على زوج في ذات يده»^(٣٣٧).

وباختصار فإن العادات التي سادت في الولادة، أدت إلى الاهتمام بالطفل قبل أن يولد، وذلك بحسن اختيار الأب للزوجة التي ستكون أمّاً لأبنائه، فيتخيرها ذات نسب

^(٣٣٤) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص. ٨٧-٨٨.

^(٣٣٥) الحوفي: المرأة العربية في الشعر الجاهلي نقلاً عن تهذيب الكامل، ج ٢، ص ٥٠.

^(٣٣٦) المصدر السابق، ص ١١٩، نقلاً عن بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٣٢.

^(٣٣٧) البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٧٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧،

ص ٨٣؛ ابن قيم الجوزية: أخبار النساء، ص ٦٧.

شريف وأخلاق حميدة. كما كانت المرأة تهتم بمعرفة كل ما يتعلق بالحمل ليكون حملها خالياً من كل ما يمكن أن يؤثر في صحة جنينها، فتأكد من الفترة التي يجب أن يتم الحمل فيها. كما تحاول هي ومن حولها الاهتمام بصحة الحمل والحامل. ويتبع ذلك الاهتمام بالمولود ورضاعته، وتوجيهه وتربيته، حتى ينشأ الطفل صحيح البنية قوياً سليماً في أخلاقه وخلقه.

عادات الختان:

عرف العرب في الجاهلية الختان، فكانوا إذا قرر أحدهم ختان أولاده، أحضرهم ليرى الوقت الذي يصلح للختان. وليس للختان سن محددة، فقد يختن طفلاً لم يتجاوز اليوم السابع من ولادته، وقد يترك حتى يدرك سن البلوغ، أو يختن في الفترة ما بينهما^(٣٣٨). ويحتفل العرب عند ختان الأبناء، ويقيمون الولائم بهذه المناسبة، وتسمى الوليمة عند الاختتان الأعذار^(٣٣٩)، يدعى إليها الأهل والأقارب والأصحاب، وترتدي النساء أجمل ما عندهن من ثياب، ويخضبن أيديهن وأرجلهن بالحناء، إظهاراً للفرح والسرور^(٣٤٠). وفي مكة يطوفون به حول الكعبة إن أمكن ذلك تبركاً^(٣٤١).

أقر الإسلام الختان دون تحديد سن معينة، فقد يتم في اليوم السابع من عمر الوليد، وقد لا يتم إلا عند سن البلوغ، وذلك حسب ظروف الأهل والولد. كما أن الإسلام لم يجزّد التوسع في إقامة الحفلات في هذه المناسبة، لكنه أباح الاحتفالات المتواضعة كتقديم الطعام للمهنتين وإظهار الفرحة بطرق مختلفة، ومنها نقر الدف المصحوب بالغناء. ويبدو ذلك من أن عمر بن الخطاب كان إذا سمع صوت دق، أنكر

^(٣٣٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٣.

^(٣٣٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٤، الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣٨٦.

^(٣٤٠) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٠٥.

^(٣٤١) الفاكهي: أخبار مكة، ج ١، ص ٣٠٢.

ذلك، فإن قالوا له هو عرسٌ أو ختانٌ سكت. وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفر ولائم الختان البسيطة، وقد احتفلت هي بنفسها في ختان ابن أختها عبد الله ابن الزبير (٣٤٢).

توسعت الاحتفالات بمناسبة الختان بعد عصر الصحابة والراشدين، وخاصة عند الطبقة العليا، طبقة الخلفاء والأمراء وكبار القادة، فأصبحت الاحتفالات تستمر أكثر من يوم، وقد تدوم حتى اليوم السابع، وتقام في كل يوم وليمة كبيرة، يدعى إليها كبار القوم. وكان بعض الموسرين يختن مع أبنائه كل طفل يريد أهله ختانه، وعلى نفقته. فعند ختان ابن الخليفة العباسي المقتفي بالله ختن معه جماعة من أولاد الأمراء، وقدمت الخلع والتحف، ولم يبق أحد من أرباب الدولة خارج القصر، ليكون المكان أرحب وأوسع (٣٤٣).

وكان بعض العرب يختنون بناتهم في سن السابعة أو بعدها، ولا يجرى احتفال بهذه المناسبة، وإن أقيم احتفال فيكون بسيطاً جداً، ويقتصر على أقرب المقربين (٣٤٤). لا شك أن الاحتفال بالختان يختلف من شخص لآخر، ومن عصر إلى عصر، ويحكم ذلك مستوى الناس، وأحوالهم الاقتصادية.

عادات العرب في الأعراس:

للحزن صدى كبير في حياة العرب، وهو أظهر فيها من الفرح، وقد بالغوا في أحزانهم، حتى أصبحت مظهراً بارزاً. لعل سبب ذلك أن المصاب يريد أن يبدو أكثر تحملاً للمصائب والنكبات.

(٣٤٢) البيهقي: سنن البيهقي، ج ٧، ص ٢٩٠.

(٣٤٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق: محمد عبد القادر عطا وأخيه، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٩٩٢م) ج ١٨، ص ١٢٥.

(٣٤٤) ابن حبيب: أدب النساء، ص ٢٢١-٢٢٢.

وللعرب مصطلحات وتعابير خاصة يعبرون بها عن آلامهم، وأحزانهم، وما يجيش في صدورهم من أحزان. منها تعابير يستخدمها المحزون في شكواه لمن يواسونه، ويدعو لهم ويشكرهم. ومنها تعابير يستخدمها المواسون للتخفيف عن مصاب الإنسان فيواسون أهل القتل وهناك عبارات يعبر بها عن توقف حياة الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «مات حتف أنفه»، أي لم يمض على فراشه. ونخص الأنف، لأن العرب تخيلوا أن روح الإنسان تخرج من أنفه، ولم يكونوا يجذون الموت حتف الأنف بل يعيرون به. قال السموعل يفخر بأن قومه لا يموتون حتف أنوفهم، بل في ساحات الوغى^(٣٤٥):

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

ويقولون: «مات حتف فيه»^(٣٤٦) لأن الفم مجرى نفس كذلك. أما روح القتيل فيعتقدون أنها تخرج من جرحه^(٣٤٧).

ويرى العرب أن للدهر والحدثنان والقدر صلوات قوية بالموت، إذ ينسب العرب إليها الموت. فالدهر هو المسؤول عن قوارع الزمان وحوادثه التي تنزل بهم، فهو في نظرهم المبيد، والمهلك، والمفقر، وباختصار فهو رأس كل بلاء وبدلاً من أن يتقربوا إليه، ويتوددوا له، كانوا يسبونونه عند نزول الشدائد بهم، ويقال لما يصيب الإنسان من عظيم نوب الدهر: «دواهي الدهر» وإذا نزلت بشخص مصيبة قالوا: «دهته داهية». وقد يقولون: «داهية دها» على سبيل التوكيد والمبالغة^(٣٤٨). وقد ورد أن الرسول ﷺ نهى عن سب الدهر، فقال: «لاتسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»^(٣٤٩).

^(٣٤٥) ديوان عروة والسموعل: ص ٩١.

^(٣٤٦) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٤٨.

^(٣٤٧) النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢١.

^(٣٤٨) ابن منظور: لسان العرب، مادة دها.

^(٣٤٩) مسلم: صحيح مسلم، باب الألفاظ من الأدب وغيرها، حديث رقم ٤١٦٩؛ الزبيدي: تاج العروس

ج ٣، ص ٢١٨.

واعتقد العرب العقلاء أن الموت أجل مثبت، وأمر معين محتم وهو لا يأتي إلا في حينه فإذا جاء أجل الإنسان فإن الحذر لا يغنيه. وقد عبر عن ذلك قس بن ساعدة الإيادي: فقال (٣٥٠):

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لَلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَكْبَابُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

وقال حكيم النهشلي معبراً عن قرب الموت من الإنسان، وأنه أقرب إليه من شراك نعله (٣٥١):

كُلُّ أَمْرِي مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
فالموت يصيب الإنسان لا محالة حتى لو جلس في زاوية مظلمة من زوايا بيته، فهو إن لم يقتل فسيموت، وقال أبو ذؤيب الهذلي (٣٥٢):

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
وقال رجل من العرب كان أبوه يمنعه من أن يضرب في الأرض طلباً للعيش خوفاً وشفقة عليه، موضحاً أن موت الإنسان قدر لا مفر منه (٣٥٣):

أَتَمْنَعُنِي خَوْفَ الْمَنَايَا وَلَمْ أَكُنْ لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ؟!

(٣٥٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ١٨٧.

(٣٥١) المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٠.

(٣٥٢) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١٤٠.

(٣٥٣) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ١٣٦.

وقال عنزة بن شداد مذكراً أن الموت لابد منه، فإن لم يكن في ساحة الوغى،

فسوف يأتي الإنسان وهو على فراشه^(٣٥٤):

بَكَرَتْ تُخَوِّفِي الحُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعَزَلِ
فَأَجْتَبُهَا إِنَّ المِنِّيَّةَ مَنَهَلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنَهَلِ
فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَمِي أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

وإذا وقعت وفاة في أسرة من الأسر فإنهم يبدؤون بإعلان الوفاة والمصاب الأليم

بصوت عالٍ يسمعه أكثر الناس، حتى يشركوهم في مصابهم ويساعدوهم، ويكون الإعلان بالمناداة «واسوء صباحاه» أو «واسوء مساءه». وإذا كان الشخص ذا مكانة، فيعلن عن موته في الأحياء والأماكن العامة بعبارات مؤثرة، وبصوت يتناسب مع الحادثة^(٣٥٥) ويقوم بذلك ناغ أو جملة نعاة. يركب الناعي فرساً، ويسير بنعي الميت، فيذكر اسمه ويمجده ليسمع بذلك القوم. قال المتنخل الهذلي يذكر النعي^(٣٥٦):

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي النَّاعِيَانِ بِهِ لَا يَبْعُدُ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ وَالرَّجُلُ

وفي الوقت الذي يعلن فيه عن وفاة الشخص يبدأ أهله والمقربون منه بإظهار

علامات الحزن، مثل لبس ألبسة خاصة سوداء أو بيضاء ويبدأ نعي الميت والبكاء عليه، ولا بد من اللؤلؤة والنياحة، ففي هذا تقدير واحترام للميت، ولذا يببالغ أهله في النواح والصراخ عليه، ولا يكتفون بذلك، بل إن ذوي الجاه والغنى والشرف، يستأجرون

^(٣٥٤) عنزة بن شداد: ديوان عنزة بن شداد، ص ١٨٠؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٨٣؛ ابن عبد

ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٧٦.

^(٣٥٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٤١؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٤٦-١٤٧.

^(٣٥٦) الزبيدي: تاج العروس، مادة نعي، الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١٣؛ جواد علي، المفصل، ج ٥،

النائحات للنياحة، ممن رزقن موهبة القول في مثل هذه الأحوال، فينوحون عليه في بيته، ويسيرون خلف نعشه ينوحون ويبيكون، وكذلك أثناء مأتمه، ويبالغون في ذلك تبعاً لمكانة المتوفى^(٣٥٧). وقد أبدى عدد من الشعراء البكاء والنواح على من توفي لهم. قالت أم عمرو بنت مكرم تبكي أحابها، ذاكراً أن بكاءها مرٌّ، ودمعها مدرار لا يرقأ^(٣٥٨):

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ مِهْرَاقُ سَجَلًا فَلَا عَازِبٌ فِيهَا وَلَا رَاقِ
أُبْكِي عَلَى هَالِكِ أَوْدَى وَأُورَثِنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنَ حَرَّةٍ بَاقِ
تَبْكِي لِذِكْرَتِهِ عَيْنٌ مُفَجَّعَةٌ مَا إِنْ يَجِفُّ لَهَا مِنْ ذِكْرِهِ مَاقِ

والبكاء على الميت ليس له حدود زمانية ولا مكانية. فحين قدم متمم بن نويرة إلى العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عليه، فقبل له: يموت أخوك بالملاء، وتبكي أنت على قبور العراق فقال^(٣٥٩):

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لَتَذْرَافِ الدَّمْعِ السَّوَافِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بَالَمَلَا أَنْتَ نَائِحٌ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ أَوْ عَلَى كُلِّ هَالِكِ

كما كان من مظاهر الحزن على الميت شق الجيوب، وتعفير الرأس بالتراب، والرماد، والطين وحلق الشعور. كما كانت النساء ذوات المصائب إذا قمن في المناحات يضرين صدورهن بالنعال. قال أبو ذؤيب الهذلي يصف حزن بناته، وضرب صدورهن بالنعال^(٣٦٠):

^(٣٥٧) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥٢.

^(٣٥٨) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٣٢٢ نقلاً عن بلاغات النساء، ص ١٧٧.

^(٣٥٩) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ١.

^(٣٦٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١١.

وَقَامَتْ بَنَاتِي بِالنَّعَالِ حَوَاسِرًا وَأَلْصَقْنَ وَقَعَ السَّبْتِ تَحْتَ الْقَلَائِدِ
 وكانت الشاعرة الخنساء كغيرها من الجاهليات قد حلفت رأسها، وضربت
 صدرها بنعليها، ولبست صداراً من شعر حزناً على أخويها، وظلت تبكيهما حتى
 عميت (٣٦١).

وأصعب الحداد حداد المرأة على زوجها، إذ عليها أن تحزن لمدة حول كامل
 تمتنع أثناءه عن الزينة، والطيب، وتقليم الأظافر، وتنف الشعر. كما عليها أن تلبس شر
 ثيابها. ولا تستقبل الخطاب، وتعيش في بيت صغير (حفش) أو خيمة لا تغتسل، ولا
 تمس ماء، فتخرج بعد الحول بأقبح صورة (٣٦٢).

وعلامات الحزن هذه ضرورية، وتركها عيب ومنقصة على المحزونين
 وأصدقائهم، وأهلم، وهي تقاليد لا بد من مراعاتها والحفاظ عليها (٣٦٣).

وكان الناس يهتمون بنعيمهم بعد وفاتهم، ويوصون قبل موتهم بنعيم للناس نعيماً
 يليق بهم. فقد أوصى طرفة بن العبد بنعيه وشق الجيب عليه، فقال (٣٦٤):

فَإِذَا مِتُّ فَأَنْعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبُدٍ

وكان لبيد بن ربيعة أكثر اعتدالاً في طلبه من ابنته فقد طلب منها فقط ذكر
 خصاله الحميدة، دون خمش وجهه، ولا حلق شعره. حين أنشد هذا الشعر (٣٦٥):

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةَ أَوْ مُضَرُّ

(٣٦١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٢٣٩.

(٣٦٢) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٥٠-٥١. جواد علي، ج ٥، ص ١٧٢-١٧٣.

(٣٦٣) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٤٦.

(٣٦٤) طرفة بن العبد: ديوانه، ص ٥٤.

(٣٦٥) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥٣ نقلاً عن الأمدي: المؤلف، ص ١٠٠.

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَخْمِشَا وَجْهَهَا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
وَقُولَا: هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ

ويعتمد نعي الميت عند العرب وراثؤه حولاً كاملاً، وهي مدة عزاء أهل الجاهلية^(٣٦٦). فإذا انتهى الحول فإن أهل المتوفى وأقاربه، يعذرون بعد ذلك عن الاستمرار، إلا في المناسبات، قال ليبي يذكر البكاء والحزن لمدة حول كامل^(٣٦٧):
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ
وطوال العام لا يترك أهل الميت فيه ذكر فقيدهم، فيندبونه في أوقات معينة، ويكون عليه عند قدوم قادم إليهم، وينحرون لذكره، ويكرمون من يأتي إليهم لتعزيتهم^(٣٦٨).

وكان بعضهم يستمر في البكاء على الميت أبد الدهر. قال الشاعر الأسدي إنه سيكي على رجلين ماتا ما اتصل عمره^(٣٦٩):
وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا الَّذِي يُرِدُّ عَلَيَّ ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَكُمَا
ويكون البكاء على الميت بعد وفاته مباشرة إذا كان الموت حتف الأنف، أما إذا كان الميت قتيلاً، فلا يبكي عليه أهله حتى يثأروا له. فإذا تم الثأر له، بكوا عليه وناحوا^(٣٧٠). فعندما قتل حساس كليياً، نهى أخوه مهلهل النساء عن البكاء، وقال لهن: استبقين البكاء عيوناً تبكي إلى آخر الأبد^(٣٧١). ثم جز شعره وقصر ثوبه، وآلى

^(٣٦٦) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١٢.

^(٣٦٧) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥٥.

^(٣٦٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١٢؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٧١-١٧٢.

^(٣٦٩) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ٢، ص ٨٧٨.

^(٣٧٠) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥١، نقلاً عن نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٣٢.

^(٣٧١) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص ١٥٢.

على نفسه ألا يهتم بلهوه، ولا يشم طيباً. ولا يشرب خمرًا، ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بني بكر (٣٧٢). ومما قاله (٣٧٣):

خَذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمَرِي بَتْرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
وَهَجْرِي الْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسِ وَلُبْسِي جُبَّةً لَا تُسْتَعَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعِ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَيَّ أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
وَالأَنْ تَبِيدَ سَرَاةً بِكُرِّ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا آثَارُ

والنثار للقتيل في اعتقادهم مهم جداً، لأن القتل يخرج من جرحه هامة تتحول إلى طائر يرفرف فوق القبر، تصبح على القبر اسقوني اسقوني، إلى أن يثار لها. وهي تظل ملازمة لصاحبها لا تفارقه، وكأنها لا تريد أن تفارق الجسد الذي كانت فيه مستقرة. قال ذو الإصبع العدواني (٣٧٤):

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ أَهَامَةُ اسْقُونِي
وقال صخر بن ضمرة النهشلي (٣٧٥):

أَرَأَيْتَ إِنْ صرَّخْتَ بِلَيْلِ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا عَارِيًا أَثْوَابِي
ولذلك فإن النساء لا يكيّن القتل حتى يثار له، فإن تم النثار تبدأ النساء بالبكاء، وكان القتل مات من ساعته، حتى لو مضى على موته عدة سنوات، ويخرجن حاسرات يولولن ويخمشن وجوههن. فبعد أن انتقم للملك بن زهير، خرجت النساء

(٣٧٢) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص ١٥٢.

(٣٧٣) المصدر السابق نفسه.

(٣٧٤) القالي: الأمالي، ج ١، ص ٢٥٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢١.

(٣٧٥) أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص ٢.

حواسر يندبته، وفخر الربيع بن زياد بهذا الثأر، وأشار إلى ما بدأت النسوة يفعلن عقبه، فقال (٣٧٦):

مَنْ مِثْلَهُ تُمْسِي النَّسَاءُ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعْوَلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَأْتِ نَسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ
يَجِدِ النَّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَيْكِينُ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ
يَخْمِشْنَ حَرَاتِ الْوُجُوهِ عَلَى أَمْرِي سَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَيْبِ الْأَخْبَارِ

ومن أمارات تكريم الميت الشريف، تجمع الناس عند بيته للمشاركة في نقله إلى موضع دفنه، وكلما كانت مكانة الميت كبيرة كان الجمع أكثر (٣٧٧). وفي أثناء ذلك يهتم أهل الميت بغسله (٣٧٨). ويكون الغسل بالماء والطيب. فقد غسل عبد المطلب بالماء والسدر، وطرح عليه المسك حتى ستره، ولف في حلتين، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام، إعظاماً وإكراماً، وإكباراً لتغييره في التراب (٣٧٩).

ومن عادة البسطاء من العرب الجاهليين غسل موتاهم بالخطمي والأشنان وما شابه ذلك. ثم يضعون الطيب عليه. وقد يدفنون الميت بملابسه، بعد أن يغطوا رأسه، أو يكفونه بالكفن ثم يحملوه إلى حيث يوارى.

ويضعون الميت على سرير من العود ويحملونه على الأكتاف حتى يصل إلى قبره أو يحمل في محفة أو على الإبل إذا كان قبره بعيداً. قال زيد الخيل يذكر حمل الميت على العود وخمش الوجه (٣٨٠):

(٣٧٦) التبريزي: شرح الحماسة، ج ٣، ص ٢٦، جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص ٢٥٧.

(٣٧٧) جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٥٦٠.

(٣٧٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠، جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥٦-١٥٧؛ الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣٧٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٣٨٠) أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة، ص ٨٠، وجاء في اللسان مادة عود (على محمر ثويموه وما رضى).

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَا تَمَّ تَجْمَعُونَهُ عَلَى مِحْمَرٍ عَوْدٍ أَثِيْبٍ وَمَارُضًا (٣٨١)
تُجِدُونَ خَمَشًا بَعْدَ خَمَشٍ كَأَنَّهُ عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ نَعَا

ويتبارى الأصدقاء والأصدقاء في حمل نعش الميت احتراماً له وتقديراً لشأنه، قال
الناطقة الذيباني يذكر النعش (٣٨٢):

أَلَمْ تَرَ خَيْرَ النَّاسِ أَصْبَحَ نَعْشُهُ عَلَى فِتْيَةٍ قَدْ جَاوَزُوا الْحَيَّ سَائِرًا
وَنَحْنُ لَدَيْهِ نَسْأَلُ اللَّهَ خُلْدَهُ يُرِدُّ لَنَا مَلَكًا وَلِلْأَرْضِ عَامِرًا

ويسير أهل الميت وأقرباؤه وأصدقاؤه أمام الجنازة وخلفها إلى المقبرة حتى يدفن،
ويقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه. ثم يقولون له لا تبعد، وذلك اعتقاداً منهم
بالنشر بعد الموت، أو أنهم يقصدون أنه وإن مات، فإنه مازال في قلوبهم. قال سلمة
بن يزيد يرثي أخاه، ويدعو له بعدم البعد (٣٨٣):

فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ إِمَّا تَرَكَتْنَا حَمِيدًا وَأَوْدَى بَعْدَكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

ويمكن أن يكون قصدهم من ذلك استعظام موت الرجل الجليل، وكانهم لا
يصدقون موته. وقد بين هذا المعنى زهير بن أبي سلمى، فقال (٣٨٤):

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ فَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَزَلْ نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ

وتتابع الجنازة مسيرها حتى القبر، حيث يقوم الأبناء والأقرباء بوضع الميت في
لحده، وإذا كان الميت سيدياً كريماً، اشترك الرؤساء في وضعه في قبره، وقد يتنافسون في

(٣٨١) ويروى البيت الثاني: حمساً بعد خمس، والمحمر: الفرس يشبه الحمار، وهو أيضاً اللئيم من الرجال.
والقود: المسن.

(٣٨٢) جواد علي: المفضل، ج ٥، ص ١٥٧.

(٣٨٣) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ٧٣.

(٣٨٤) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١٤، ولم أجد البيتين في ديوان زهير.

نيل هذا الشرف لدرجة وقوع الشر، ويهال التراب عليه و يخصص قبره. وقد ترفع عليه القباب والصوامع إن كان من كبار القوم، ويكتب عليه اسمه وما يناسب المقام، وتجز النساء شعورها وتضعها عليه.

وقد ذكر بشر بن أبي خازم بناء القبر ورفعته عن الأرض، وبناء ضريح عليه، فقال (٣٨٥):

سَنَامًا يَرْفَعُ الْأَحْلَاسَ عَنْهُ إِلَى سَنَدٍ كَمَا ارْتَفَعَ الضَّرِيحُ
أما قبور الأعراب، والفقراء، والسواد فهي حفرة في الأرض يوارى الميت فيها، ثم يهال التراب عليه، ويسوى بالأرض غالباً. وقد يرفع التراب بعض الشيء ليكون علامة عليه، وتوضع على حافته عصي أو حجارة لتكون إشارة تشير إلى مكانه (٣٨٦).

وقد نهى الرسول ﷺ عن رفع القبور أو بناء المساجد عليهن فخير القبور الدوارس، وهذا ما يزال يؤخذ به في كثير من بلاد الإسلام يستوي في ذلك الفقير والغني والحاكم والمحكوم.

جاء في الحديث: «أمرني أن أسوي كل قبر» (٣٨٧) وفي حديث آخر: «نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر» (٣٨٨).
ومن عادات الجاهليين التي حرمها الإسلام نحر الإبل على قبر المتوفى، وتلطبخ القبر بدمائها مكافأة لصاحب القبر على ما كان يعقره من الإبل في حياته، وما كان ينحره للأضياف. قال أحدهم:

(٣٨٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣١١؛ جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٦١.

(٣٨٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢١.

(٣٨٧) رواه أحمد بن حنبل، ٨٩/١.

(٣٨٨) رواه مسلم في الجنائز ٩٤، وأحمد بن حنبل ٣٩٢/٦.

وَأَنْضَحَ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَحَادِمٌ وَذَبَائِحُ

ويكون الذبح بعد أن تعقر قوائم الإبل. أو أنهم يشدون الناقة إلى قبر الرجل وينكسون رأسها إلى ذنبها، ويغطونه ببردعة، وتربط برباط وثيق حتى لا تهرب، وتبقى في حفرة لا تغلف ولا تسقى حتى تموت عطشاً وجوعاً. ويقال لهذه الناقة البلية. ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ليركبها صاحبها في المعاد فيحشر عليها فلا يحتاج أن يمشي. قال أبو زيد يذكر ذلك (٣٨٩):

كَالْبَلَايَا رُؤُوسَهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتُ السُّمُومِ حُرَّ الْخُدُودِ

وقال عويمر النبهاني يوصي ابنه (٣٩٠):

أَبْنِيَّ لَا تَنْسَ الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأَبْيِكَ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرْكُوبٌ

ورأى بعضهم أنهم إنما يفعلون ذلك إعظاماً للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام، وقيل إنما فعلوه لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت، فكانهم يثأرون لهم منها، وقيل إن الإبل أنفس أمواتهم، فكانوا يظهرون أنها هانت عليهم لعظم المصيبة، وقد أبطل الإسلام ذلك كله. ونهى عنه ولم يعد لتلك العادة وجود.

وكان من عادة الجاهليين حمل النار مع الجنازة، واستمر ذلك فترة بعد الإسلام. فقد أوصى أبو موسى الأشعري أبناءه ألاّ تحمل النار في جنازته، قائلاً: انظروا إذا أنا مت، فلا تؤذنين بي أحداً، ولا يتبعني صوت ولا نار (٣٩١).

وكان من عادة بعض العرب في الجاهلية زيارة قبور الموتى والجلوس عندها، وضرب الخيام حولها، ومناجاة صاحب القبر وتحيته، لأن روحه باعتقادهم حية لا

(٣٨٩) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣٩٠) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣٩١) ابن سعد: طبقات ابن سعد، ج ٤، ص ١١٥.

تموت، وكانوا يسقون القبور بصب شيء من الماء عليها. أو الخمر أحياناً. وقد سقوا قبر الأعشى في منفوحة بالخمير لأنه كان مولعاً بها وحرمت الخمر على الأحياء وماتت تلك العادة^(٣٩٢).

قال الأسدي يذكر صب الخمر على القبر^(٣٩٣):

أَقِيمُ عَلَى قَبْرِيكُمْ مَا لَسْتُ بِأَرْحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمْ
أَصْبُ عَلَى قَبْرِيكُمْ مِنْ مَدَامَةٍ فَإِنْ لَمْ تَذُوقَاهَا أَبْلُ ثَرَاكُمْ

وكان لكل قبيلة مقابر عامة لا يدفن فيها إلا أفراد القبيلة أو من يؤذن بدفنه فيها من غيرهم تكرماً له. وقد تحجز مناطق من تلك المقابر فتجعل للخاصة، ويحافظ أصحابها عليها، فيتعهدونها بالرعاية والعناية ويزورونها في المناسبات، وتراعى القرابة والمنزلة عند دفن الموتى، فتدفن الزوجة على مقربة من زوجها، والابن على مقربة من أبيه^(٣٩٤).

كما اعتاد العرب تقديم الطعام بمناسبة الوفاة، ويسمى الطعام المقدم الوضيمة، وقد يقدم من قبل أهل الميت إلى من حضر العزاء، أو يقدمه أقارب الميت وجيرانهم^(٣٩٥). واختلفت عادات الوفاة بعد الإسلام عما كانت عليه قبله؛ فقد حرم الإسلام الحداد على الميت فوق ثلاثة أيام غير الزوج، إذ يتوجب على الزوجة أن تحدد عليه أربعة أشهر وعشراً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرْتَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣٩٦).

^(٣٩٢) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٥٩-١٦٠.

^(٣٩٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ٢، ص ٨٧٧.

^(٣٩٤) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ١٧١.

^(٣٩٥) ابن حجر: فتح الباري، ج ٩، ص ٤٦١.

^(٣٩٦) سورة البقرة: آية ٢٣٤؛ وانظر: الطبري: جامع البيان، ج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٠.

كما نهى عن الغلو في نعي الميت والتدب عليه بإظهار أعماله، وسمى ذلك دعوى الجاهلية، ومنع لطم الخدود وشق الجيوب^(٣٩٧)، ونهى عن عقر الإبل على القبر ورفع القباب والصوامع فوقها. ولكن عادة البكاء على الميت والنواح عليه لم تزل بقايا منها بعد الإسلام على الرغم من المنع، وذلك بسبب قيمة الحياة، وفقد الميت. قال أبو العتاهية يكي على صديقه علي بن ثابت ويذكر أنه بكاه بدر عينه^(٣٩٨):

بَكَيْتَكَ يَا عَلِيُّ بِدُرِّ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
طَوْتُكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيْئاً

كذلك قال أبو فراس الحمداني قبل وفاته لابنته، طالباً منها أن تنوح عليه بحسرة وتنعاه، فقال^(٣٩٩):

نُوحِي عَلِيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قَوْلِي إِذَا كَلَّمْتَنِي فَعَيَّيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَاسٍ لَمْ يُمَتِّعْ بِالشَّبَابِ

وهكذا يتضح لنا أن للوفاة عند العرب عادات وتقاليد اختلفت بين أوضاع الموت وحالاته، ففي حال القتل يؤجل الحزن حتى الثأر للميت، وكانوا يببالغون في الحزن على الميت، إظهاراً لمكانته وحبهم له. حتى إذا جاء الإسلام خفف من غلواء الحزن، وذلك لأن الموت حق على الإنسان، وعليه ألا يعترض على مشيئة الله.

بعد استعراض العادات المعيشية التي سادت عند العرب في جاهليتهم، نجد أن بعض هذه العادات، عادات حسنة يظهر فيها حسن خلق العرب، وتبنيهم لعادات

^(٣٩٧) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٢٧، نقلاً عن شرح المبدئي، ج، ص ٣٥.

^(٣٩٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٤٠٨.

^(٣٩٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٢٧.

كريمة، إلا أن بعضها لم يكن كذلك. كما أنهم بالغوا في بعضها الآخر حتى أصبحت غير مقبولة. ولذلك منعها الإسلام، أو أدخل بعض التعديلات عليها. وتتكون العادة من تكرار العمل، ولذلك فإن الناشئ إذا كرر أي عمل سيئ يصبح عادة له، ولذلك يتوجب علينا لكي نضمن سلامته أن نمنعه من ممارسة العادات السيئة، ونبعده عنها، لأنه متى سلم منها سلم من الأخلاق السيئة. ولكي نسد الطريق عن ممارسة العادات السيئة إذا منعناها، يتوجب علينا استبدالها بأخرى صالحة بها نشغله بها، ونحبها إليه، ونحمله على مزاولتها ليتحلى بها، ولتصبح عنده عادة صالحة، أو جملة عادات يقوم عليها خلق جديد.

موقع الدكتور مرزوق بن تتيك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٨٠	٣٣٣	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ... الآية﴾	البقرة
٩٦	٢٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا... الآية﴾	النور
٦٢	٣١	﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ... الآية﴾	فاطر
٦١	٣٣	﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنِ اسَاوِرٍ مِّنْ ذَهَبٍ... الآية﴾	الزخرف
٦١	٥٣	﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ اسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ... الآية﴾	الطلاق
٨١	٦	﴿فَإِنِ ارْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ... الآية﴾	

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الرقعة	الحديث
١٥	«إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء...»
٥٣	«اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن، بماء وسدر...»
٣٧	«ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا عليكم...»
٤٧	«أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس...»
٥٠	«إن رسول الله بريء من الصالقة والحالقة والشاققة...»
٧٣	«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس...»
٧١	«تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم...»
٤٦	«جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا الخجوس...»
٨٢	«خير نساء ركن الإبل صوايح نساء قريش...»
٦٨	«السواك مطهرة للفم مرضاة للرب...»
٦٤	«عليكم بالإئد، فإنه يجلو البصر...»
٨٥	«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر...»
٤٩	«لعن الله الواصلة والمستوصلة...»

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

الصفحة	العدد	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
— ى —				
٩٣	٢	زيد الخيل	رضا	أبي كل
٥٦	١	حميد بن ثور	وقصا	لا تصطلي
— ء —				
٨٢	٢	أم أثال	جفاء	لعمري
١٠	١	أعرابي	ماء	وما العيش
— ب —				
٩٧	٣	أبو فراس الحمداني	الحجاب	نوحى
٦٨	٢	سلامة بن جندل	الخرايب	وعندنا
٢٠	١	-	ذائبا	أبا مالك
٤٥	١	النايفة	السياسب	رقاق
١٧	١	كعب بن مالك	الغلاب	زعمت
٧٣	٣	-	القرائب	فتى
٣٦	١	لييد بن ربيعة	مذهب	من المسيلين
٦١	١	النايفة	مذهب	وأبدت
٩٥	١	عويمر النبهاني	مركوب	أبني
٣٨	١	امرؤ القيس	مشطب	فلما دخلناه
١٢	١	امرؤ القيس	مضهب	شمسى
٥٥	١	علقمة بن عبدة	الملوب	مجال
٣٨	١	قيس بن الخطيم	يعسوب	تخطو
٦٠	١	سيار الإباني	يعسوب	كان

الصفحة	العدد	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٧١	١	القتال الكلابي	ذبذبا	لقد ولدني
- ت -				
٥٤	١	-	الظلمات	وعالت
- ج -				
٦١	١	عنزة بن شداد	دملج	وتحتي
- ح -				
٩٣	٢	زهير بن أبي سلمى	جنوح	يقولون
٩٥	١	-	ذبائح	وانصح
٩٤	١	بشر بن أبي خازم	الضريح	سناماً
- د -				
٦٤	١	علقمة الفحل	إثمّد	بعيني
٧	١	ابن الأعرابي	استعادا	تعوّد
٧٧	٢	زوجة الحارث بن عباد	أنجادا	إن له
٥٩	٢	كلثوم بن عمرو العنابي	تالد	تلوم
٤٨	١	-	التجعيد	قد يتمني
١٢	١	-	تقددا	وذا نطف
٣٠	١	طرفه بن العبد	تنقد	وتشرب
٥٠	١	عبد الله بن المعتز	جديد	وقالوا
٤٨	١	عنزة بن شداد	الجمد	يطلع
٩٥	١	أبو زيد	الحدود	كالبلايا
٦٤	١	امرؤ القيس	ربد	وحدودها

المادات

الصفحة	العدد	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٥٨	١	النايفة الذيباني	زبرجد	بالدر
١٤	٢	-	الزبد	ألا ليت
٨٩	١	أبو ذؤيب الهذلي	القلاند	وقامت
٧٧	٢	علي بن أبي العباس الرومي	الماجد	فتأمل
٤٣	١	مسكين الدارمي	متعبد	قل للمليحة
٣٩	١	بشار بن برد	المجسد	بينا
٨٦	١	-	معيد	أتمعني
٧٦	٢	-	المشهد	تسمنها
٨٩	١	طرفه بن العبد	معبد	فإذا مت
٥٤	١	كثير عزة	مفيد	يباشرن
٤٢	١	طرفه بن العبد	ممدد	فذالت
٦٥	٢	طرفه بن العبد	ندي	وتيسم
٧	١	ابن الأعرابي	يستعيد	لم تزل
- ر -				
٥٥	١	امرؤ القيس	إذفرا	وربيع
٩٢	٤	الربيع بن زياد	الأسحار	من مثله
٢٠	١	أعشى باهلة	الصفير	لا يتأرى
١١	١	حميد الأرقط	أظفور	ما بين لقمته
٧٥	١	-	بشير	لقحت
٢٨	٤	ابن عنقاء الفزاري	جهر	رآني على
٣٦	١	المتنخل الشكري	الحريير	الكاعب
٣٤	١	الحارث بن وعله	حلم	وزعتم

الصفحة	الحدود	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٣١	١	-	حصير	فأضحى
٣٩	١	مسكين الدارمي	خضرا	بأرض
٤٣	١	امراة من بني شيان	خمار	ألقيت
٤٤	٢	السليك بن السلكة	الخمرا	عنيت
٩١	٤	مهلهل	الديار	خذ العهد
٩٣	٢	النايفة الذبياني	سائرا	أم تر
٩٣	١	سلمة بن يزيد	الفخر	فلا يبعدنك
٨١	٢	أم الفضل الحارثية	فهر	ثكلت
٥٤	١	امرؤ القيس	القطر	إذا قامتا
٣٤	١	الأنصاري	المخاصر	يصيون
٤١	١	المخبل السعدي	الزغفرا	وأشهد
٣٤	١	عبد ربه السلمي	المسافر	فألقت
٨٦	٤	قس بن ساعدة الإيادي	مصادر	لما رأيت
٨٩	٣	كبيد بن ربيعة	مضر	فإذا مت
٥٨	١	امرؤ القيس	مفقرا	غرائر
١٦	٢	-	ناري	إني إذا
٦٦	٢	بشر بن أبي خازم	النور	رماد
٤٥	١	عتيبة بن مرداس	يخصر	إلى معشر
٢٥	١	طرفة بن العبد	ينتقر	نحن في
— ز —				
٣٥	٢	قنان الحاربي	الخبز	عجبا
٩	٣	أعرابي من بني أسد	كناز	إذا ما أصينا

الصفحة	الحدود	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
— ط —				
٥٤	١	امرؤ القيس	الخطا	مضمخة
٦٧	١	-	المشط	زعمت
— ع —				
٥١	١	-	أنزع	جلا
٢٦	١	-	بجائع	ونقفي
٨٦	١	أبو ذؤيب الهذلي	تفجع	وإذا المنية
٢٣	٢	غنية بنت عفيف «أم حاتم»	جائعا	لعمرك
١٠	٢	أعرابي	الجوع	أقول
٤٤	١	عروة بن الورد	مقنع	غراشي
١٤	١	الأعشى	مولعا	إن الأحامرة
٧١	٢	قيس بن زهير العبسي	يضيع	لعمرك
١٥	١	حجر بن خالد	مناقمه	ندهدق
— ف —				
٨	١	قيس بن الخطيم	قصف	بين شكوك
٢٧	١	-	عجاف	عمرو
٧	١	أبو كبير الهذلي	متفضف	إلا عواسل
٦٠	١	المرقش الأرقط	واصف	يهدلن
٧٢	١	الرياشي	عفافها	فأولى
— ق —				
٥٩	١	الأعشى	الأطواق	يوم أبدت

الصفحة	العدد	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٦١	١	ابن بري	حق	يا هند
٨٨	٣	أم عمرو بنت مكرم	راق	ما بال عينك
٢٣	٢	عمرو بن الأهتم	سروق	ذريني
٥٤	١	امرؤ القيس	مروق	وبيت
١٤	١	ابن الأعرابي	المفارقة	فلا تلوماني
١٧	١	الحسن بن هاني	موشق	حتى رفعا
٥٩	٢	هند بنت عتبة	النمارق	نحن
٥١	١	الراعي النميري	فاتقة	لها فارة
— ك —				
٨٨	٢	متمم بن نويرة	السوافك	لقد لامني
— ل —				
٦٧	١	سراقة البارقي	الإسحل	أيام
٧٤	٢	جبله بن الأيهم	الأول	لله در
١٠	١	الشنفرى	أعجل	إذا مدت
٢١	١	-	أكسل	بنس
١١	٢	حميد الأرقط	الأنامل	تجهز
٨٧	٣	عنزة بن شداد	بمعزل	بكرت
٦٢	١	كثير عزة	تجولا	يجول
٥٤	١	امرؤ القيس	تفضل	وتضحى
٦٤	٢	عنزة بن شداد	تنجلي	يا عبل
٤٢	١	كثير عزة	ثقال	كسون
٦٠	١	عمر بن أبي ربيعة	الحجل	وباتت

الصفحة	العمدة	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٢١	١	امرؤ القيس	حنظل	كاني
٢٤	٢	عمرو بن الخطاب	دليل	الامن
٣٦	١	عمر بن أبي ربيعة	الذبول	كتب
٢١	٢	-	الرجال	لا تحسبن
٨٧	١	المتنخل الهذلي	الرجل	أقول
٤١	١	الأعشى	العجل	والساحبات
٦٣	١	كثير عزة	فجهول	عيون
٣٦	١	ليبد بن ربيعة	فعل	تحسر
٨٥	١	السموع	قتيل	وما مات
٦٢	١	الأعشى	المتصلصل	وساقان
٥٥	١	امرؤ القيس	متفال	لطيفة
٤٨	١	امرؤ القيس	المتعنكل	وفرع
٧٥	٣	أبو كبير الهذلي	مثقل	ولقد سريت
٥٠	١	امرؤ القيس	مرجل	كان
٩	٢	ابن الأعرابي	الحلا	حسب
٤٢	١	امرؤ القيس	مرحل	خرجت
٤٧	١	امرؤ القيس	مرسل	غدائره
٥٩	١	ليبد بن ربيعة	المفاصلا	وعالين
٥٨	١	النمر بن تولب	مفصل	أناة
٣٣	١	معن بن أوس المزني	المقالا	فلا تعطي
٧٦	٢	أبو كبير الهذلي	مهبل	ممن حملن
٤١	١	الحارث بن خالد المخزومي	مهلهلا	أماطت

الصفحة	العدد	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٦٦	١	امرؤ القيس	النحل	ومؤشر
٥٥	١	كثير عزة	نثيلها	يفادي
٨٦	١	حكيم النهشلي	نعله	كل امرئ
٦٩	١	أنيف بن حكم البهاني	عياها	أبي لهم
— م —				
٧٤	١	—	أرثما	لقى حملته
١٩	١	طرفة بن العبد	البرم	ألقوا
١٥	١	حجر بن خالد	تخدما	جفاة
٧٩	١	ليبد بن ربيعة	التماما	وأنيش
٥٨	١	المرقش الأصغر	تواتما	تحلين
٢٢	٣	حاجز بن عوف الأزدي	التماما	سلي عني
٥٧	٢	ركاض	الخلما	إذا ما ليسن
١٩	١	—	دما	لنا الجففات
٣٣	١	الفرزدق	شمم	في كفه
٩٦	٢	الأسدي	صداكما	أقيم
٤٠	٣	دريد بن الصمة	صمم	أبلغ
٤٨	١	كثير عزة	فأنعما	وتدني
٢٥	١	مهلهل	القدام	إنا لنضرب
١١	١	أيمن بن خريم	قضما	رجوا
٧٢	٢	والد عصام	قوام	والله ما
٥١	١	كعب بن الأشرف	الكتم	صفراء
٨١	٢	ضباة بنت عامر	كرام	نما به

الصفحة	الحدود	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٤٩	١	المخبل السعدي	كرم	وتفضل
٢٢	١	قيس بن الخطيم	كرموا	ساقوا
٥٣	١	زهير بن أبي سلمى	منشم	تداركتما
٣٣	١	-	ناعما	كأني لم
٨٠	١	مالك بن دينار	الهرم	وتروض
٦٣	١	ليبد بن ربيعة	واجم	كميش
٤٩	١	كثير عزة	كرومها	وتعزق
— ن —				
٧٧	٢	الحارث بن عباد	أخبريني	لا تمشطني
١٨	٢	-	البطن	لأكلة
٦٩	١	عمرو بن كلثوم	سفينا	ملأنا
٦٣	١	عروة بن حزام	سلسان	كان وشاحها
٣٧	١	كثير عزة	الملسن	لهم أزر
٥٧	٢	المثقب العبدى	المصون	أرين
٧٠	٢	زوجة أبي حمزة	يلينا	ما لأبي
١٣	١	عمرو بن كلثوم	عينا	صددت
— ه —				
٧٠	٤	ليبد بن ربيعة	الأربعة	نحن بنو
٦٥	١	ليبد بن ربيعة	أقلامها	وجلا
٤٤	١	باعث بن صريم	بشماها	وخار
١٩	١	بشر بن أبي خازم	تذبيها	فكانوا
٧٢	١	الشنفرى	تعرفينها	أنا ابن
٢٣	٢	حاتم الطائي	جودها	وقائلة

الصفحة	الحدود	اسم الشاعر	القافية	أول البيت
٦٥	١	-	حاجبيها	فتته
٤٣	٢	صخر بن عمرو	خارها	والله لا أمنحها
٤٤	١	توبة بن الحمير	سفورها	وكنت إذا
١٩	١	طرفة بن العبد	سؤرة	وترى
٤٢	١	عروة بن الورد	صدارها	ترى كل
٧٩	٢	-	وهرة	كانت
- و -				
٥٦	١	كعب بن زهير	عرقوا	المطعمون
- ي -				
٩١	١	صخر بن ضمرة النهشلي	أثوابي	أرأيت
٩١	١	ذو الإصبع العدواني	اسقوني	يا عمرو
٥٧	٢	بعض بني عقيل	باديا	لئن كان
٣٢	١	طرفة بن العبد	الحالي	ألا عم
٢٧	١	لييد بن ربيعة	ذالبا	ونحن
٥٣	١	عمر بن الإطنابة	ذكيا	يتناهين
٤١	١	جرير	زمني	يا أيها الرجل
٧٣	١	-	سليبي	تجاوبت
٩٧	٢	أبو العتاهية	شيا	بكيك
٢١	١	مسكين الدارمي	فقري	وإني لأستحيي
٢٧	١	مطروود بن كعب الخزاعي	كالكافي	الخالطين
٦٥	٢	طرفة بن العبد	ندي	وتبسم

فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
٥٣	«أشأم من عطر منشم»
٣٤	«ألقي المسافر عصاه»
٣٤	«ألقي عصا الرحال»
٣٤	«إن العصا من العصية»
٥٣	«إن فاتني ربحه لم يفتني ربحه»
٧١	«أنجب من عاتكة»
٧١	«أنجب من فاطمة بنت الخرشب»
٨	«أنجب من ماوية»
١٣	«البطنة تذهب الفطنة»
٨٥	«خبزت القوم وقرتهم»
٨٥	«داهية دهايا»
٨٥	«دهته داهية»
٤٦	«دواهي الدهر»
٤٦	«رجل لحيان»
٣٤	«سيد معمم»
٣٤	«شق العصا»
٣٩	«ضعيف العصا»
٣٤	«العمائم تيجان العرب»
٣٤	«لين العصا»
٨٥	«مات حتف أنفه»
٨٠	«ما أشد فطام الكبير»
٧٣	«النزاع لا القرائب»

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

- الأبشيهي، محمد بن أحمد:
المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، دار إحياء التراث العربي،
١٩٥٢م.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد:
النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي
بيروت، المكتبة العلمية د.ت.
- ابن الأثير، علي بن محمد:
الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت ودار صادر، ١٩٦٥م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن محمد:
تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحلیم النجار، القاهرة، الدار المصرية للتأليف
والترجمة، د.ت.
- ابن إسحاق، محمد المطلبي:
السيرة والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٨م.
- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، القاهرة، دار الكتب، د.ت.
- الأعشى، ميمون بن قيس:
ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت مؤسسة
الرسالة، ط١، ١٩٨٣م.
- الأفغاني، سعيد:
أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ط١٢، ١٩٦٠م.

الألوسي، محمد شكري:

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، د.ت.
- عادات العرب في جاهليتهم، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٤.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر:

- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٤م.

الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس:

- النوادر في اللغة، تصحيح سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

البارقي، سراقه:

- ديوان سراقه البارقي، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٤٧م.

بشار بن برد العقيلي:

- ديوان بشار بن برد، تصحيح محمد رفعت فتح الله وزميله، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧م.

بشر بن أبي خازم الأسدي:

- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، دمشق - منشورات وزارة الثقافة، ط ٢، ١٩٧٢م.

بيطار، أمينة:

- موقف أمراء العرب في الشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق، دار دمشق، ١٩٨٠م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين:
السنن الكبرى، تحقيق: يوسف مرعشلي، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
تأبط شراً، أبو زهير ثابت بن جابر:
ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق: وشرح علي ذو الفقار شاكر،
بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٤م.
التبريزي، يحيى بن علي:
شرح ديوان الحماسة، طبعة بولاق، ١٢٩٦هـ.
شرح القصائد العشر، القاهرة، مطبعة صبيح، د.ت.
أبو قمام، حبيب بن أوس الطائي:
الحماسة، القاهرة، مطبعة السعادة، (١٣٣١هـ).
ابن تيناك، مرزوق بن صنيان:
الضيافة وآدابها، ط ٢، ١٩٩٣م.
الثعالبي، عبد الملك بن محمد:
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
- لطائف المعارف، تحقيق: الأبياري والصيرفي، القاهرة، د.ط.
١٩٦٠م.
الجاحظ، عمرو بن بحر:
- البيان والتبيين، الجزء الثاني، تحقيق: علي أبو ملحهم، بيروت - دار
مكتبة الهلال، ط ٢، ١٩٩٢م، والجزء الأول والثالث والرابع، تحقيق: عبد
السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٩٧٥م.
- رسائل الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان، القاهرة، مكتبة الخانجي
د.ت.

جاد المولى، محمد أحمد:

أيام العرب في الجاهلية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي د.ت.

الجميل، محمد:

الآنية والأوعية المستحدثة في العهد النبوي، الرياض، مجلة جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي:

- صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري، حلب، دار الوعي، ط١،

١٩٧٠م.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وأخيه،

بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوان شعر حاتم الطائي، وأخباره، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال،

القاهرة، مطبعة المدني د.ت.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي:

- المحبر، تحقيق: ايلزه ليختن شتير، حيدر آباد، مطبعة المعارف العثمانية

١٩٤٢م.

- المنطق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم

الكتب، ١٩٨٥.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

- الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٨هـ.

- الخصري، أبو إسحاق إبراهيم علي القرواني:
زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين
عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط ٤، د.ت.
الحوافي، أحمد محمد:
- المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.
- الغزل في العصر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣
١٩٧٣ م.
ابن الخطيم، قيس:
ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط ٢،
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
أبو داود، سليمان بن الأشعث:
سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة
العصرية، د.ت.
ابن رشيق، أبو علي الحسن:
العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين
عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط ٤، ١٩٧٢ م.
الزبيدي، السيد محمد مرتضي الحسيني:
تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي،
الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧ م.
أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس:
النوادر في اللغة، تصحيح سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، ١٩٨٤ م.

ابن زنجويه، حميد بن مخلد:

الأموال، تحقيق: شاكر فياض، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري:

الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل:

المخصص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.

الشحاب، أحمد:

سحر العطور، القاهرة، لجنة البيان العربي، د.ت.

الشيبياني، ابن الديبع:

تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، مصر، المطبعة الجمالية، ١٣٣١هـ.

الضيبي، المفضل بن محمد:

المفضليات، تحقيق: شاكر وهارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، دهوك، ط٢، ١٤٠٤هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

- جامع البيان في تفسير القرآن، القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٧هـ.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٧م.

طرفة بن العبد:

ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، ١٩٨٠م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي:

العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، د.ت.

عبيد الله بن قيس الرقيات:

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، بيروت، د.ط.ت.

عروة بن الورد، والسموئل:

ديوانا عروة بن الورد والسموئل، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله:

جمهرة الأمثال، علي هامش مجمع الأمثال للميداني، القاهرة، المطبعة

الخيرية، ١٣١٠هـ.

علقمة الفحل:

ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصقال، ودرية الخطيب، حلب، دار

الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٩م.

علي، جواد :

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة بيروت، دار العلم للملايين

بغداد، مكتبة النهضة ط٢، ١٩٧٨م.

العلي، زكية عمر:

التزيين والحلي في العصر العباسي، بغداد ١٩٧٦م.

عمرو، محمد:

اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

عنزة بن شداد العبيسي:

- ديوان عنزة بن شداد، طبعة شلبي، القاهرة، د.ط. ت.

- شرح ديوان عنزة بن شداد، قدم له وعلق على حواشيه: سيف الدين

الكاتب وزميله، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، د.ت.

الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس المكي:

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكة

مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ.

الفرزدق، همام بن غالب:

ديوان الفرزدق، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٦م.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، بيروت - دار لسان العرب ١٩٧٠م.

القالبي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:

الأمالي، د. م. ط. ت.

ذيل الأمالي والنوادر، القاهرة، دار الكتب، د.ت.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

- الأشربة، تحقيق: محمد كرد علي، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٧م.

- عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م.

- الشعر والشعراء، حقق نصوصه وعلق حواشيه وقدم له عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط ١، ١٩٩٧م.
- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب:
جمهرة أشعار العرب في الجاهلية الإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، الرياض، لجنة البحوث والتأليف والنشر، ١٤٠١هـ.
- القرطبي، يوسف بن عبد الله:
بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية د.ت.
- قيس بن الخطيم بن عدي:
ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ط ٢، ١٩٦٧م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر:
زاد المعاد في هدى سيد العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الكويت، مؤسسة الرسالة، ط ٢٥، ١٩٩١م.
- كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن:
ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.
- الكوبي، أبو طالب المفضل بن سلمة:
الفاخر، نشر: سانس أنبروس، ليدن، مطبعة بريل، ١٩١٥م.
- ليبد بن ربيعة:
ديوان ليبد بن ربيعة العامري، بيروت، دار صادر د.ت.
- مالك بن أنس:
الموطأ، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود محمد خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣م.

- المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد:
شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين، وعبد السلام هارون، القاهرة،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٦٨ م.
- المرزباني، محمد بن عمران:
- معجم الشعراء نشر سالم الكرنكوي، القاهرة - مكتبة القدسي
١٣٥٤ هـ.
- ٨٠، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العائني وهلال ناجي، بغداد،
دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٦ م.
- مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر:
ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وزميله، بغداد،
نقابة المعلمين المركزية، مطبعة دار البصري، ١٩٧٠ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم:
لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط
ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، ١٩٧٠ م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:
جمع الأمثال، القاهرة، المطبعة البهية المصرية، ١٣٤٢ هـ.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:
نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار
الكتب، د.ت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، بيروت، دار الكتب
العلمية، ط٢، د.ت.

الهندي، علاء الدين علي المتقي:

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حيدر آباد، دائرة المعارف،
١٣١٣هـ.

الواقدي، محمد بن عمر:

المغازي، تحقيق: مارسدن جونس بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٤م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:

تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com